الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي:

دلالات الإنشاء الطلبي في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور

-سورة البقرة أنموذجا-

مذكرة من متطلبات شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

- تخصص لسانيات عربية -

إعداد الطالبة:
حدي بن نونة

إشراف الأستاذ:
د/ مسعود غريب

نوقشت وحيزت يوم: 19 شوال 1439هـ الموافق ل 23 جوان 2019م.

مسعود غريب	مشرفا
محمد الصالح بوعافية	مناقشا
كمال علوش	رئيسا

السنة الجامعية: 1440/1439هـ- 2019/2018م

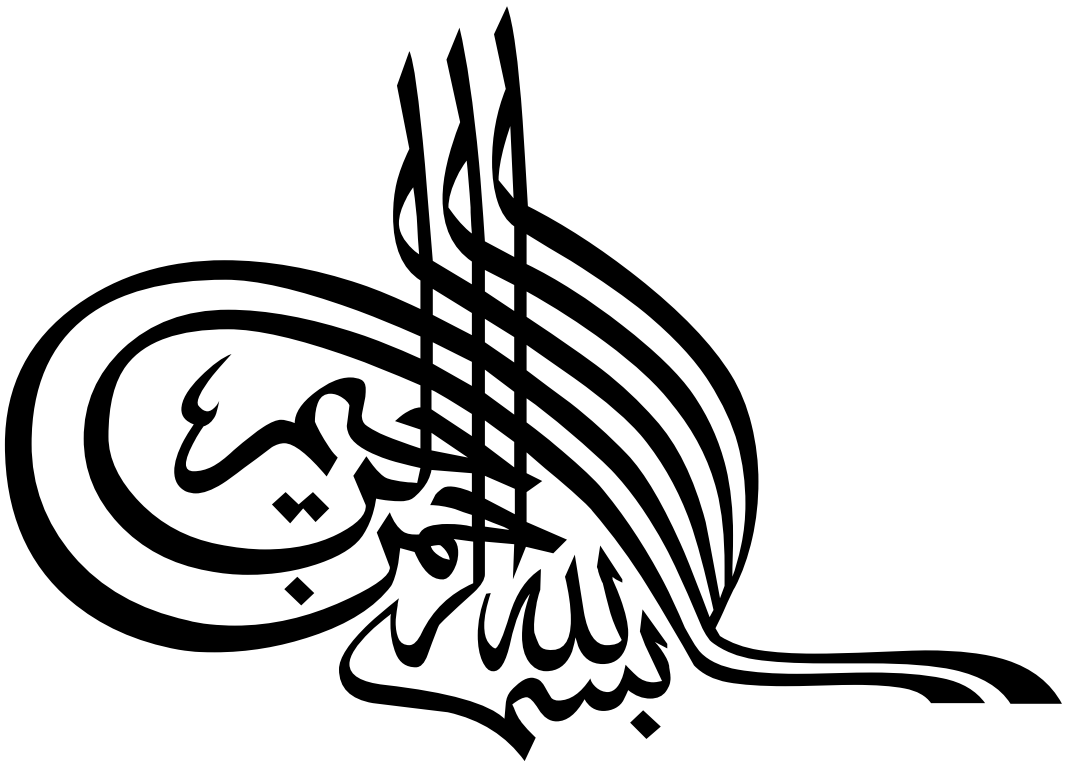
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: 114)

كن عالما، فإن لم تستطع فكن متعلما، وإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم.

لابد وأنا أخطو خطواتي الأخيرة نحو نيل شهادة الماستر أتقدم بأسمى آيات الحمد والشكر والامتنان إلى الله عز وجل الذي بفضله وفقني في إنجاز هذا العمل الذي ما هو إلا نقطة ماء في بحر.

كما أتقدم بفائق الشكر والتقدير والعرفان إلى:

الأستاذ المشرف: مسعود غريب

الذي غرس في آفاق المثابرة وبذل على النفس والنفيس.

كما نشكر كل من قدم لي يَدَ العون في إنجاز هذا العمل المتواضع من أساتذة وأهل وزملاء وأصدقاء.

لكم كل الاحترام والتقدير لما قدمتموه لي من بحر معرفتكم وعلمكم (حفظكم الله وجعل عملكم هذا في ميزان حسناتكم)

حدي بن نونة

إهـــــداء

إلى روح والديّ الطاهرين الكريمين الحبيبين، فلن أنساهما طول حياتي و أطلب من الله عزوجل أن يجمعني بهما في جنانه.

إلى من كان لي سندا في الحياة و كان أبا لي قبل الأخ، أخي الغالي " منصف " حفظه الله.

إلى إخواني وأخواتي وأبنائهم

إلى كل مسلم حريص على كتاب الله

أهدي هذا البحث المتواضع، وأسأل الله أن يتقبله مني ويجعله في ميزان حسناتي يوم الدين.

حدي بن نونة

مُقَدِّمَة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وعليه نتوكّل وبه نستعين، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين وبعد.

ممّا لا ريب ولا تنازع فيه أنّ كتاب الله يشكّل بآياته وسوره وحدة موضوعية معجزة هادفة، لِدى فإنّ القرآن الكريم مصدر غنيٍّ ومنبع لكل عمل لغويٍّ، أو نحويٍّ، أو دلالي أو أي مجال يخص اللغة العربية بالدّرجة الأولى، إذ لا نقاش في حقائقه أو ما تمخض عنه من نتائج.

والتفسير القرآني هو ذلك الفهم السّليم والتحليل الشرعي لسور وآياته القرآن الكريم دون تغييب لمعانيه الظاهرة والباطنة، والعلاقة بين علم البلاغة وعلم التفسير هي علاقة تبادل فعلم البلاغة نشأ في أحضان المفسرين الأوائل وفي رحاب القرآن الكريم وبعد أن نضج أفاد منه المفسرون في علومه الثلاثة المتمثلة في المعاني والبديع والبيان والتي لها الفضل في تأدية المعنى المراد والتمييز بين الفصيح من غيره، ومعرفة وجوه التحسين والتزيين في الألفاظ والتراكيب.

ومن هذه الميزة البلاغية التي تُعنى بالإعجاز البياني دفعت المفسرين إلى الاهتمام الكبير بالمسائل البلاغية التي تكشف عن رونق العبارة القرآنية وجمالها، ومدى توافقها للمقام التي وردت فيه، وتبيِّن سبب عدول القرآن من لفظ إلى آخر كما تشير إلى كناياته ومجازاته وتشبيهاته ومن هؤلاء المفسرين نذكر: الزمخشري في الكشاف، ابن عطية في المحرر الوجيز والرازي في التفسير الكبير، وأبا حيان في البحر المحيط، وطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير.

ولعلّ ما استوقفنا من هذه المباحث البلاغية الثلاثة هو علم المعاني الذي تعدُّ الأساليب الإنشائية من أهم مباحثه، فإن كان الأسلوب الخبري يرتبط بالجانب النقدي للغة أي إفادة المخاطب بما يجهله، أو التأكيد لما يعلمه، فإنَّ الأسلوب الإنشائي مرتبط بالجانب التأثيري للغة.

والإنشاء هو ما لا يحتمل صدقاً أو كذباً لذاته، وينقسم قسمين: طلبي وغير طلبي والطلبي من أهم أنواع الإنشاء في علم المعاني، يتميز بتنوع صيغه واختلاف دلالاته فالاستفهام ينطوي على دلالات خفية ومعان لا تدرك بسهولة كذلك الشأن مع أساليب الأمر والنهي والتمني والنداء.

ومن هذا المنطلق أردتُ البحث في أنواع الأساليب الطلبية وما تحمله من معانٍ ودلالات خفية، وإبراز تعدُّد دلالات الصيغة الواحدة حسب اختلاف السياق التي وردت فيه فعمدت أن يكون القرآن الكريم أنموذجا للتطبيق عليه من خلال تفسير التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور أساس يقوم عليه البحث الموسوم بـ: **دلالات الإنشاء الطلبي في تفسير التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور –سورة البقرة أنموذجا–.**

تتجلّى أهمية الموضوع في كونه يتطرق لجهود عَلَم من أعلام العربية في مجال التفسير وهو العلاّمة "طاهر بن عاشور" وكيف استطاع من خلال كتابه "التحرير والتنوير" أن يوضّح ويشرح أهم دلالات ومعاني الإنشاء الطلبي.

ومن دوافع اختياري لهذا الموضوع هو شرف البحث في كتاب الله عزَّ وجل والتدّبر في آياته، وما يعود على الباحث في بلاغة القرآن من تحصيل علمي.

وما جذب انتباهي تلك المعاني المجازية التي يخرج إليها الإنشاء الطلبي في استعمالاته من خلال السياق.

وقد اخترت كتاب التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور كونه أحد كتب التفاسير التي اهتموا ببلاغة النص القرآني والكشف عن أسراره بغية الوصول إلى معان الذكر الحكيم.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن دلالات الإنشاء الطلبي في سورة البقرة من خلال تفسير التحرير والتنوير، وكذلك التعرف على أكثر عدد من تفاسير القرآن الكريم ومعاني آياته ومدى توافق واختلاف المفسرين في إعطاء المعاني للآيات.

سيحاول هذا البحث الإجابة عن الإشكالية الآتية: **ما الذي يمكن للإنشاء الطلبي أن يحمله من دلالات؟ وكيف عالج ابن عاشور دلالات الإنشاء الطلبي في سورة البقرة من خلال تفسير التحرير والتنوير؟**

ويندرج ضمن هذا التساؤل عدة أسئلة ثانوية منها:

- ما هي أقسام الكلام؟ وما مفهوم كلّ من الخبر والإنشاء؟
- ما مفهوم الإنشاء الطلبي؟ وما هي أقسامه؟
- ما هي أهم دلالات الإنشاء الطلبي ومعانيه المجازية؟
- ما هي دلالات الإنشاء الطلبي في سورة البقرة من خلال تفسير التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور ؟
- ما مدى توافق واختلاف ابن عاشور مع علماء التفسير في نوع دلالات الصيغ الطلبية؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة والإلمام بجوانب الموضوع رتّبت عناصر البحث على المنهجية الآتية:

ابتدأ البحث بمقدمة أعطت تصوراً للموضوع وإشكاليته وأشارت إلى أهم الدوافع لاختياره، وأهدافه والمنهج المتبع في ذلك، يلي المقدمة مدخل موسوم بـ: التعريف بالطاهر بن عاشور وتفسيره التحرير والتنوير، تطرقت فيه إلى ذكر نبذة عن حياة ابن عاشور من حيث: المولد والنشأة والحياة العلمية، بالإضافة إلى عدٍّ بعض ما ترك من آثاره، مع وصف شامل لتفسيره، أما الفصل الأوّل فكان مخصصاً للإنشاء الطلبي أقسامه ودلالاته محتويا على ثلاثة مباحث، تناول الأوّل أقسام الكلام ومفهوم كل من الخبر والإنشاء وخصص الثاني للإنشاء الطلبي أقسامه وأما الثالث لمفهوم الدلالة والتعريف بعيِّنة من الدلالات والمعاني المجازية التي يخرج إليها الإنشاء الطلبي.

وأما الفصل الثاني فقد جعلناه مخصصاً للإنشاء الطلبي ودلالاته في سورة البقرة من خلال تفسير التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور، والذي يعدّ الميدان التطبيقي لما جاء به الفصل الأوّل، إذ استخرجت أساليب الطلب من سورة البقرة وبيَّنت دلالاتها بحسب ما ذكره

ابن عاشور وقد احتوى على ثلاثة مباحث، إذ خصص الأوّل للاستفهام ودلالته والثاني لدلالات الأمر والنهي والثالث لدلالات النداء والتمني ونظرا لسعة الموضوع وشموليته اقتصرت على بعض النماذج لتفي بغرض الدراسة.

وأما الخاتمة فقد أبرزت فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة وفهرساً للمصادر والمراجع وفهرساً للموضوعات.

ولقد فرضت طبيعة الموضوع أن أتتبّع الدراسة المنهج الوصفي الذي يمكننا من الوصول إلى المعنى المراد استناداً في ذلك إلى تفسير ابن عاشور وغيره من المفسرين، وقد استعمل التحليل كأداة في التمييز بين دلالات الإنشاء الطلبي ومعانيه بين ابن عاشور وعلماء التفسير.

ومن الدراسات التي سبقت في هذا المجال وكان لها الفضل في تنوير هذا البحث نجد:

1-خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في تفسير "التحرير والتنوير" رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة، من الباحث إبراهيم علي الجعيد، بجامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

2-الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره "التحرير والتنوير" "المعاني والبديع" رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، من الباحثة رانيا جهاد إسماعيل، الجامعة الإسلامية غزة.

ويختلف هذا البحث عن سابقيه كونه دراسة دلالية لاستعمالات أسلوب الطلب في تفسير التحرير والتنوير مقصورة على سورة البقرة.

وقد اعتمدت في جمع المادة العلمية على مجموعة من المصادر والمراجع، وفي مقدمتها كتب التفاسير أهمها: التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور، الكشاف للزمخشري والمحور الوجيز لابن عطية، روح للألوسي.

وكتب البلاغة ومنها: مفتاح العلوم للسكاكي، الإيضاح في البلاغة للقزويني، وعلم المعاني بسيوني عبد الفتاح فيود.

ومن المعاجم نذكر: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي لسان العرب لابن منظور والمقاييس لابن فارس.

وممّا لا شك أنيِّ صادفت بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث تمثلت في: عمق التفسير لطاهر بن عاشور مما يصعب فهمه أحيانا، وكذا سعة الموضوع وشموليته فتحت عليَّ أبواباً كثيرة في تحديده، وكون البحث في الدراسات القرآنية فلا مجال فيه إلاَّ للعلم المستند على الأدّلة والقول الذي يتحرى أقصى درجات الصواب، فمثل هذه البحوث لا تتحمَّل الاجتهادات والتأويلات الشخصية.

ولا يسعني في هذا المقام إلاَّ أنّ أحمد الله وأشكره عز وجل على تتمة هذا البحث، كما يسعدني أن ألتفت بكلمة شكر وعرفان لكل من أخذ بيدي بكلمة أو رأي أو مرجع، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل، الدكتور مسعود غريب، الذي أتشرَّف بإشرافه عليّ فكان نعم المشرف جزاه الله خيراً، ولا أنسى أن أتقدّم بجزيل الشكر إلى كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي.

حدي بن نونة

ورقلة في: 2019/06/23

مدخـل

الطاهر بن عاشور

وكتابه التحرير والتنوير

مدخل

أوّلا: التعريف بالمؤلف

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الشهير بالطاهر بن عاشور ولد العلامة –رحمه الله– بضاحية "المرسى" من أحراز تونس في جمادى الأولى سنة 1296 الموافق لـ سبتمبر 1879م بقصر جده لأمه الشيخ محمد العزيز بوعتور.

نشأ ابن عاشور منذ صغره نشأة علمية، في أحضان والد يأمل أن يكون على منوال جدّه في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جدّ يحرص أن يكون خليفة لهم في العلم والسلطان والجاه، حفظ القرآن وأتقنه وهو في السادسة من عمره ، التحق بجامع الزيتونة سنة 1310م، وشرع ينهل من معينه في تعطش وحب للمعرفة إلى أن برز ونبغ في شتى العلوم سواءً في الشريعة أو اللغة أو الآداب أو غيرها من المعارف والثقافات، بل والطب وإتقان الفرنسية، فأظهر همة عالية في التحصيل جعلت منه آية في ذلك كله، توفي الشيخ محمد الطاهر في يوم الأحد الثالث عشر من رجب عم 1393هـ الموافق لـ الثاني عشر أغسطس 1973م في تونس عن عمر يقارب سبع وتسعين سنة ودفن بمقبرة الزلاج، بعد حياة حافلة بالجد والنشاط شغلها كلها في الإفادة والاستفادة تاركا لنا مؤلفات كثيرة في شتى العلوم والفنون ومنها تفسير الكبير المسمى بالتحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وأليس الصبح بقريب وغيرها الكثير والكثير سواء كان مطبوعا أم مخطوطا[1].

[1]– ينظر: محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1404هـ/1984م، ج3، ص: 304–305، وعلى إيازي، المفسرون حياتهم ومناهجهم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط1، 1212هـ، ص: 241، والزركلي، الأعلام، دار الملايين، ط1، 2002م، ج 6، ص: 174–175، والغالي بلقاسم، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، دار الفكر، دمشق، 1997م، ص: 33، ومحمد نعمان الحسن، (الاتجاه اللغوي في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور)، مجلة القسم العربي، العدد 21، بنجاب لاهور باكستان، 2014م، ص: 46–47.

ثانيا: التعريف بكتاب "التحرير والتنوير"

يعدُّ تفسير التحرير والتنوير من أهم إنجازات الشيخ وأعظمها فقد فسر فيه القرآن تفسيرا تاما من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وعنوانه باختصار "التحرير والتنوير" وهو مختصر من عنوانه الطويل "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" وسماه ابن عاشور نفسه بهذه التسمية ابتدأ الإمام كتابة تفسيره وهو في سن الخامسة والأربعين من عمره ودامت مدة تأليفه حوالي أربعين سنة، افتتح تفسيره بمقدمات عشر كمعونة للباحث والقارئ ذات صلة وطيدة بالتفسير وعلوم القرآن وهي:

1-**المقدمة الأولى:** في تفسير والتأويل.

2-**المقدمة الثانية:** في استمداد علم التفسير

3-**المقدمة الثالثة:** في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي.

4-**المقدمة الرابعة:** غرض التفسير.

5-**المقدمة الخامسة:** أسباب النزول.

6-**المقدمة السادسة:** في القراءات.

7-**المقدمة السابعة:** القصص القرآني.

8-**المقدمة الثامنة:** ما يتعلق باسم القرآن وآياته.

9-**المقدمة التاسعة:** المعاني التي تتحملها جمل القرآن.

10- **المقدمة العاشرة:** في إعجاز القرآن[1].

الغرض من تأليفه:

لقد كان السبب الرئيس في تأليف محمد الطاهر بن عاشور لتفسيره "التحرير والتنوير" فكرة تتملك نفسه منذ زمن ونستشف ذلك من خلال قوله: فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى، من الحق المتين

[1]- ينظر: ابن عاشور، مقدمة التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، د ط، 1984م، ج1، ص: 5.

والحاوي لكلّيات العلوم ومعاني استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل مناطها، طمعًا في بيان نكت من العلم، وكلّيات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق[1].

منهجه المتبع:

كان الشيخ يبدأ تفسيره باسم السورة وفضلها وفضل قراءتها وترتيب نزولها، وتعيين سورة قبلها وبعدها، وبيان أغراض السورة، وعدد آياتها، ويذكر محتوياتها، ثم يبدأ تفسيرها منتخبا جملة منها فيفسّرها قطعة قطعة كما وقد اهتم ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال وبيان تناسب اتصال الآيات بعضها ببعض حيث يقول في هذا الصدد:" لم أغادر سورة إلّا بيّنت ما أحيط بها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنّها فقرة متفرقة...تحجبه عن روائع جماله.[2]

أهم المصادر التي اعتمد عليها:

تميّزت مصادر ابن عاشور اللغوية والنحوية بالتعدّد والتنوّع ممّا أضاف على تفسيره طابعا خاصا وقالبا متميّزا ومن أكثر الأسماء لمعانا في التحرير والتنوير عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة وسيبويه في الكتاب ثم السكاكي صاحب مفتاح العلوم، وكذلك شرح المفصل والمختصر لابن الحاجب، وشرح ابن هارون، والقزويني في الإيضاح...[3].

أما أخذه عن التفاسير فنجد: تفسير (الكشاف) للزمخشري، مفاتيح الغيب للفخر الرازي، تفسير القرطبي الموجود في تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي...[4].

[1]– ينظر: ابن عاشور، مقدمة التحرير والتنوير، المصدر السابق، ص: 5.

[2]– ينظر: محمد على إيازي، المفسرون–حياتهم ومناهجهم، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، مرجع سابق، ص: 243.

[3]– محمد النعمان الحسن، الاتجاه اللغوي في تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ص: 50.

[4]– منيع عبد الحليم، منهاج المفسرين، دار الكتاب المعري، القاهرة، د ط، 2000م، ص: 50.

طبعاته: يقع تفسير التحرير والتنوير، في ثلاثين جزءا وله طبعات كثيرة ومختلفة.

- فأول ما طبع منه هو جزء "عم" و"سبح" بتونس سنة 1956م.
- وله طبعة قديمة سنة 1926م بمطبعة عيسى البابلي الحلبي.
- وأعيد طبعه في تونس الدار التونسية، والدار الجماهرية[1].

[1]– محمد النعمان الحسن، الاتجاه اللغوي في تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص: 47.

الفصل الأول

أقسام الكلام (خبر وإنشاء)

الإنشاء الطلبي وأقسامه

دلالات الإنشاء الطلبي

الفصل الأول: الإنشاء الطلبي أقسامه ودلالاته

المبحث الأول: أقسام الكلام (خبر وإنشاء)

ينقسم الكلام عند علماء البلاغة إلى خبر وإنشاء، وقد شغلت هذه القضية حيِّزا كبيراً لدى الباحثين قديما وحديثا حول مفهوم الخبر والإنشاء، فيرى البعض أنّه قد نشأ مع نشأة الجدل في عصر المأمون حول فتنة القول بخلق القرآن الكريم، حيث بنى المعتزلة قولهم بخلق القرآن الكريم على أساس أنّ ما تضمنه لا يخرج عن واحد من ثلاثة: أمر ونهي وخبر والخبر كما عرفه النظّام، هو ما ينطبق عليه الصدق والكذب ومسألة الصدق والكذب عنده مقترنة باعتقاد المتكلم لا بمطابقة الواقع، ثم جاء الجاحظ بعد أستاذه النظّام وأنكر انحصار الخبر في الصدق والكذب ويرى أن الخبر ثلاثة أقسام: صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب[1].

أما ابن قتيبة فقد قسّم الكلام أربعة أقسام فقال: و«الكلام أربعة: أمر وخبر واستخبار ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي: الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر»[2].

ونجد السكاكي في القسم الثالث من القسم الأول من كتابه "مفتاح العلوم" جعل الكلام في علم المعاني تحت قانونين: قانون الخبر وقانون الطلب[3].

وجاء في الايضاح للقزويني: «ووجه الحصر أنّ الكلام إما خبر أو إنشاء لأنّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أولا تطابقه أو لا يكون لها خارج الأول الخبر والثاني إنشاء»[4].

ويرى عبد السلام هارون:« أنّ الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته بحيث يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب، سمي كلاما خبريا:« ... أولا يحتمل الصدق والكذب لذاته

---

[1]– ينظر: عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان، ط 1، 2009، ص: 42–43.

[2]– ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1985م، ص: 07.

[3]– ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص 415.

[4]– الخطيب القزويني، الايضاح، شرح وتحقيق: مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ص 16.

ولا يصح أن يقال لقائله إنّه صادق أو كاذب لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق سمي كلاما إنشائيا»[1].

ومنه فالكلام الذي يمكن أن يوصف بالصدق والكذب ويكون بذلك خبرا، وإمَّا أن لا ينصف بالصدق والكذب ويكون بذلك إنشاء، ولأجل ذلك سنبين كلاً منهما.

أولا: الخبر

1- لغة: جاء في معجم العين للخليل في تعريف الخبر:« الخبر لغة: النَبَأْ ويجمع على أخبار وأخبرته وخبرته، والخبير: العالم بالأمر»[2].

وأما صاحب اللسان فيُعرّف الخبر: «والخبر ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر والجمع أخبار وأخابير جمع الجمع: وقوله تعالى: ﴿يَوْمَبِيذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ (الزلزلة 04)، فمعناه يوم تزلزل تخبر بما عمل عليها، وأخبره بكذا أو أخبره: نبأه»[3].

2- اصطلاحا: أما اصطلاحا فقد عرفه ابن فارس بقوله:« والخبرُ ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم»[4]، كما عرفه السكاكي بقوله:« الخبر هو ما جاز على قائله التصديق والتكذيب»[5]، وصرح صاحب الايضاح بقوله:« والخبر صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقته حكمه له»[6].

---

[1]- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1421هـ/2001م، ص: 12.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي الخزومي وابراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، مادة (خ ب ر).

[3]- أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، مادة (خ ب ر).

[4]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح: حمد ربيع، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1993م، ص: 18.

[5]- السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 252.

[6]- القزويني، الايضاح في البلاغة، مصدر سابق، ص: 35.

وهكذا نرى أنّ علماء اللغة اتفقوا على أنّ الخبر لغة هو إعلام وبالمعنى الاصطلاحي هو كل نبأ أو إعلام يصح أن يقال لصاحبه أنّه صادق فيه أو كاذب، فإن كان كلامه مطابقا للواقع كان قائله صادقا وإن كان غير مطابق له كان كاذباً.

ثانيا: الإنشاء:

1-لغة: وإلى جانب الخبر نجد الإنشاء وهو قَسِيمُ الخبر، والإنشاء لغة كما جاء في كتاب العين: «الابتداء أنشأت حديثا: ابتدأت»[1].

ويقول صاحب اللسان: أنشأه الله: خلقه وأنشأ الله الخلق ابتدأ خلقهم وأنشأ دارا: بدأ بناءها وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً اُكُلُهُۥ ﴾(الأنعام: 141) أي ابتدأها وابتدأ خلقها[2]. وفي المعجم الوسيط: «أنشأ بفعل كدا: شرع»[3]، إذّن فالإنشاء في اللغة بمعنى الابتداء والخلق والشروع.

2-اصطلاحا: وفي الاصطلاح هو «الكلام الدي لا يقال فيه صدقت ولا كذبت ولا يدل على أمر حاصل في الخارج»[4]، وهو «ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به، فطلب الفعل في (افعل)، وطلب الكف في (لا تفعل)، وطلب المحبوب في (التمني)، وطلب الفهم في (الاستفهام) وطلب الاقبال في (النداء)، كل ذلك ما حصل إلا بالصيغ نفسها المتلفظ بها».[5]

ونستنتج من ذلك أنّ الإنشاء بمعناه الاصطلاحي يقارب معناه اللغوي لأنّ إنشاء الكلام واقع خارج يطابقه فيقال إنّه صادق أولا يطابقه فيقال إنّه كاذب فهو لا يغيّر حصول شيء أو عدم حصوله، بل يفيد ابتداء شيء.

---

[1]– الخليل الفراهيدي، معجم العين، مادة (ن ش أ).

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ش أ).

[3]– ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 18.

[4]– ينظر: العلوي الطراز، تح: بن عيسى طاهر، دار المنار الاسلامي، ط 1، 2007، ج3، ص: 42.

[5]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصهليلي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ص 69.

وبما أنّ الجملة الإنشائية هي مدار البحث سننتقل إلى أقسامها ليتسنّى لنا القدرة على التميّز بين هذين القسمين من خلال دراسة البلاغيين.

ثالثا: أقسام الجملة الإنشائية

قسّم البلاغيون الجملة الإنشائية قسمين منه ما يدل على طلب ويكون أمرا أو نهياً أو استفهاماً وتمنّياً ونداء ومنه ما لا يدل على طلب كأفعال المدح والذم والتعجب وصيغ العقود وهذه بعض الآراء البلاغية في أقسام الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، اقتصرت دراسة السكاكي على الإنشاء الطلبي وقسمه خمسة أنواع وهي: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء وفصل الإنشاء غير الطلبي ولم يتحدث عنه[1].

ويرى القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة أنّ الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع الحاصل، وأورد دراسته حول الإنشاء الطلبي وأهمل الإنشاء غير الطلبي[2]، وجعل العلوي في كتابه الطراز الإنشاء الطلبي خمسة أنواع: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والترجي والعرض والدعاء والنداء وجعل من الإنشاء غير الطلبي: المدح والذم والتعجب فقط[3].

وقسّم أحمد الهاشمي الإنشاء قسمين طلبي وغير طلبي والطلبي خمسة أقسام: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء وغير الطلبي: صيغ المدح والذم وصيغ العقود والقسم والتعجب والرجاء ويكون: بربّ ولعلّ وكم الخبرية[4].

وأورد محمد التونجي في كتابه الجامع في علوم البلاغة قسما للجملة الإنشائية وهما: إنشاء طلبي وغير طلبي، فأمّا الطلبي فأقسامه: الأمر والاستفهام والتمني والنداء وغير الطلبي: المدح والذم وصيغ العقود، القسّم، وصيغتا التعجب وأفعال الرجاء[5].

---

[1]– ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 302–303.

[2]– ينظر: القزويني، الايضاح، مصدر سابق، ص: 108–109.

[3]– ينظر: العلوي الطراز، الإيضاح، مصدر سابق، ص: 155، 161.

[4]– ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 69–70.

[5]– ينظر: محمد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، دار العزة والكرامة، الجزائر، ط1، 2013م، ص: 50–51.

وجعل عبد السلام هارون في كتابه الأساليب الإنشائية والإنشاء الطلبي تسعة أنواع: الأمر، والنهي، والدعاء، والعرض، والتحضيض، والتمني، والترجي، والنداء، والاستفهام ومن الإنشاء غير طلبي: أفعال المقاربة وأفعال التعجب والمدح والذم وصيغ العقود والقسم ورُبّ وكم الخبرية[1].

نستنتج من خلال هذه الرؤى البلاغية أنّ الجملة الإنشائية تقوم على أساس الطلب الذي يطلبه المتكلم من المخاطب وهي قسمين: طلبي هو ما لا يستوجب وجود طلب ليس كائنا وقت الطلب، وغير طلبي ما لا يستوجب ذلك، وكذلك ممّا يلاحظ أنّ القسم الأول من جملة الإنشاء الطلبي حظيت باهتمام كبير من قبل البلاغيين وذلك لما يحمل من دلالات ومعان ولطائف تخرجه عن أغراضه الحقيقية إلى معان مجازية تفهم من سياق الكلام، وأما الإنشاء غير طلبي فمباحثه قليلة فهي بمثابة أخبار في الأصل نقلت إلى إنشاء.

[1]– ينظر: عبد السلام هارون، الأساليب الانشائية، مرجع سابق، ص: 13-14.

المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي وأقسامه

إذا كان البلاغيون أولوا كل الاهتمام بهذا القسم من الإنشاء (الإنشاء الطلبي) وهو مركز بحثنا، فالأجدر بنا الوقوف على جماليات هذا القسم وليتسنى لنا القدرة أن نتعرف على أقسامه والكشف على دلالاته وأسراره البلاغية.

أولا: مفهوم الإنشاء الطلبي:

1-لغة: وقد عرف ابن فارس الطلب في معجمه مقاييس اللغة قائلا:« الطاء واللام والباء أصل واحد ويدل على ابتغاء الشيء، ويقال طلبت الشيء، أطلبته طلبا، وهذا مطلبي وهذه مطلبتي»[1] وأما صاحب اللسان فيعرف الطلب بقوله:« الطلب هو محاولة وجدان الشيء وأخذه والطلبة ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به والمطالبة أن تطالب الإنسان بحق ذلك عنده وطلب إليَّ طلبًا، رغب»[2]، ولا يخالف هذا التعريف، عند الأزهري في تهذيب اللغة «أطلبت الرجل: أعطيته ما طلب»[3].

2-اصطلاحا: وفي الاصطلاح فقد وردت عدة تعريفات للإنشاء الطلبي لا تختلف فيما بينها فهو« ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب فإن استعمل الإنشاء الطلبي لمطلوب حاصل وقت الطلب امتنع إجراؤه على المعنى الحقيقي»[4]، كما يعرفه القزويني « والطلب هو ما يستدعي مطلوب غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل»[5]، كما جاء في تعريف آخر لمحمد التونجي بقوله: «هو طلب حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب ويراد تنفيذه حين الطلب»[6].

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ/1979م، مادة (ط ل ب)، ج 4.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ط ل ب).

[3]– الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، مرا: محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مادة (ط ل ب)، ص: 237.

[4]– عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 2001م، ص: 13.

[5]– الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص: 108.

[6]– محمد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، مرجع سابق، ص: 50.

نستنتج أن الإنشاء الطلبي هو كل كلام نَتَلفظهُ بحيث لا يصح أن نقول لقائله أنّه صادق أو كاذب؛ لأنّ ليس له مدلول في الخارج والمراد به الطلب من غيرك ويكون بأحد الصيغ الآتية: الأمر أو النهي أو الاستفهام أو النداء أو التمني.

ثانيا: أقسام الإنشاء الطلبي

تتقسم الجملة الطلبية بحسب الصيغ الواردة فيها، استفهام فأمر ونهي ثم تمنٍ وأخيرا نداء، وسنقوم في ما يأتي بعرض كل قسم بشيء من التفصيل.

1-الاستفهام

أ. **لغة:** جاء في معاجم اللغة العربية كما في "اللسان" مادة" ف ه م" :«والفهم هو معرفتك الشيء بالقلب وفهمت الشيء: عقلته واستفهمته: سأله أن يفهمه»[1].

ويعرف الفيروزآبادي الفهم بقوله: «فهمته: كفرح فهما واستفهمني فأفهمته»[2]. ولا يختلف مفهوم الفهم في المعجم الوسيط إذ يقال: «استفهمته: سأله أن يفهمه، ويقال: استفهم من فلان عن الأمر: طلب منه أن يكشف عنه»[3].

ب. **اصطلاحا:** وفي المفهوم الاصطلاحي كما عرفه ابن فارس:« الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو الاستفهام»[4]، ويفرق ابن فارس الاستخبار والاستفهام أن الاستخبار هو أن تستخبر فتجاب بشيء ربّما فهمته أو لم تفهمه، وإن سألت ثانية فأنت تستفهم وتريد الفهم، ويرى حسن جمعة أنّ الاستفهام هو «أسلوب لغوي –قبل كل شيء–

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ف ه م).

[2]– الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط08، 1426هـ، مادة (ف ه م).

[3]– مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، مادة (ف ه م).

[4]– ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، مرجع سابق، ص: 134.

وأساسه طلب الفهم والفهم صورة ذهنية تتعلق بشخص ما أو بنسبة أو بحكم من الأحكام على جهة اليقين أو الظن»[1]، وله قسمان: حقيقي ومجازي.

كما عرّف أحمد مصطفى المراغي الاستفهام بقوله:« الاستفهام طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به»[2].

نستنتج من ذلك أنّ المعنى الاصطلاحي للاستفهام يتفق مع المعنى اللغوي وهو المراد به طلب الفهم والإفادة من المخاطب وله قسمان: حقيقي ومجازي.

الاستفهام الحقيقي: هو ما سُئل أوّلا ولم يفهم حق الفهم، فطلب فهمه من المخاطب فإذا سُئل عنه ثانية كان استفهاما، والمجازي: هو ما وضع لشيء للدلالة على شيء آخر.

ج.أدوات الاستفهام: تختلف أدوات الاستفهام بحسب المستفهم ومن بينها ما هو حرف نحو: "الهمزة" و"هل"، ومنها ما هو اسم نحو: من، ما، أيان، أنّى، كيف، أيّ ، لما:

✓**حروف الاستفهام:**

– **الهمزة:** وهي أم باب الاستفهام ولها صدر الكلام كما لغيرها من أدوات الاستفهام وهي حرف مشترك بمعنى أنّه يدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق، وتقدّم على (الفاء)و(الواو) و(ثم) وذلك تحقيقا لصدارتها في الوقوع في صدر الجملة وهذا مذهب فيها. وقد خصت الهمزة بأمور وخصائص لم تعرف بها بقية الأدوات وهي أنّها تحقق سواء تقدمت على أم" أو لم تتقدمها. وتكون للتصديق والتصور.

والتصديق هو طلب السؤال عن شيء حدث وقوعه أم لا؛ فتكون الإجابة "نعم" للإثبات ولا" للنفي نحو: (أنجح زيد) فهو إدراك نسبة الفعل بدقة؛ لأنّ المتكلم متردد بين إثبات الشيء ونفيه.

[1]– حسن جمعة، جماليات الخبر والانشاء، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005م، ص: 136.

[2]– مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000م، ص: 76.

أما التصور فهو إدراك المفرد والاستفسار عن حدوث فعل ما، ويتلو همزة التصور المسؤول عنه ونقترن بـ"أم" المعادلة وتكون الاجابة عن ذلك بتحديد الفعل، ومن قام به على وجه الدقة لأنّ الحدث قد وقع، لكنّه لا يعرف كيفيته نحو: (أزيد قائم أم عمرو).

– **هل:** وهو حرف وضع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور، ودون التصديق السلبي كما تختص بالاستقبال غالبا، لا تدخل على الشرط ولا على "إن" ولا على "اسم بعده فعل الاختيار" وتقع بعد العاطف لا قبله ولا بعد "أم" كقوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾(الرعد: 16)، والاستفهام الحقيقي بـ"هل" الذي وضع للتصديق يحتاج إلى إجابة لأنّه يستفهم بها عن وجود شيء في نفسه ويكون "نعم" للإثبات و"لا" للنفي، كقولنا: هل نجح زيد أم عمرو؟ فكان السؤال عن عمرو لا عن زيد فكان الجواب "بل نجح عمرو"[1].

د. **أسماء الاستفهام:** أسماء الاستفهام إمّا مبنية أو معربة وتستعمل للتصور فقط، ويحدد فصل التصور ويوضح بالإجابة حين يعين المسؤول عنه والمبنية سبعة والمعربة واحد وهي:

✓ **الأسماء المبنية:**

– **من:** اسم يستعمل للعاقل غالبا، ويستفسر به عن الجنس (العاقل) ، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(يس: 78).

– **ما:** تستعمل لغير العاقل، ويطلب بها السؤال عن معرفة حقيقة الشيء المستفهم عنه أو شرحه، فمن معرفة الحقيقة قولنا: "ما العسجد؟" ومن معرفة شرح حاله أو صفته قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾(البقرة: 68) [2].

[1]– ينظر: سبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1992، ج3، ص: 187–188.

[2]– ينظر: حسن جمعة، جماليات الخبر والإنشاء، دراسة جمالية نقدية، منشورات اتحاد الكتب العربية، دمشق، 2005م، ص: 137–140.

– **كم:** يأتي هذا الاسم للاستفهام وغيره فهو (ابن هشام) على وجهين استفهامية بمعنى أي عدد؟ وخبرية بمعنى كثير... ووجه الخلاف بينهما أن: الخبرية تحتمل التصديق والتكذيب وذلك بخلاف الاستفهامية ولا يقتضي المتكلم في الخبرية جوابا عكس الاستفهامية فيقتضي جوابا لأنها قائمة على الحوار بين المتكلم والسامع.

– **كيف:** اسم يستعمل للسؤال على الحال السواء وقع اسما صريحا يخبر به كقولنا: (كيف أنت؟) و(كيف كنت) أم وقع فضلى كقولنا: (كيف جاء زيد؟) ومثل قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِيْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِيْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَآءِ شَهِيداً﴾(النساء: 41).

– **أنى:** ظرف يسأل به عن المكان، وكما ذكر الزجاج أنه يجوز أن يستفهم بها عن المكان والحال فتأتي بمعنى "كيف وأين) وقد يجازي بها ونكون بمعنى من أين" ومن قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾(آل عمران: 37) وقولنا: أنى تذهب؟ بمعنى "متى".

– **أين:** ظرف يستفهم به عن المكان الذي حل فيه الشيء كقوله تعالى: ﴿يَقُول ٱلإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾(القيامة: 10). وكقولنا: أين سافرت؟

– ويجوز أن يسبق بحرف الجر (من) للدلالة على مكان بروز الشيء مثل: (من أين تخرجت؟).

– **متى:** المشهور فيها أنها ظرف (استفهام وشرط) والاستفهام فيها لتعيين الزمن ماضيا أو مستقبلا، كقولنا (متى سافر أحمد؟) و(ومتى تعود؟).

– **أيّان:** ظرف بمعنى (الحين) يطلب به تعيين زمان المستقبل فقط كقولنا: (أيّان سافر؟ أي في وقت) [1].

[1]– ينظر: ابن هشام، المغني اللبيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط1، 1988م، ج1، ص: 207-208.

✓ **الأسماء المعربة:** وهي اسم واحد فقط وهو:

- **أيٌّ:** اسم استفهام يستعمل مشددا كقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ (التوبة: 124)، وقد تستعمل مخففة كقول الفرزدق:

تنظرت نظرا والمساكين أيّهما عليّ من الغيب إستلهموا طره[1]

ثانيا: الأمر

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي

جاء في لسان العرب: و«الأمر" لغة مفرد لكلمة الأمور يقال: أمر فلان مستقيم والأمور مستقيمة، والأمر: الحادثة»[2].وعرفه الزبيدي في تاج العروس و«يقال أمره أمرا، كلفه شيئا»[3].وفي معجم الوسيط: «أمر عليهم أمرو إمارة صار أميرا عليهم والأمر الحال والشأن»[4]، وفي التنزيل العزيز ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (النساء: 59) أي الرؤساء والعلماء.

وفي الاصطلاح يعرف السكاكي الأمر بأنّه: «طلب فعل على وجه الاستعلاء والالزام»[5]. وصرّح السيوطي في تعريفه للأمر: «هو لازم الاستقبال لأنّه يطلب بهم الم يكن حاصلا، ويراد حصوله»[6]. في حين يكتفي حمزة العلوي بأنّه:« صيغة إنشائية دالة على تحصيل الفعل من جهة الغير على وجه الاستعلاء»[7].

---

[1]- ينظر: حسين جمعة، جماليات الخبر والإنشاء، مرجع سابق، ص: 142.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (أ م ر).

[3]- الزبيدي ، تاج العروس، مادة (أ م ر).

[4]- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مادة (أ م ر).

[5]- السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 318.

[6]- السيوطي، همع الهوامع، تح: عبد العالي سالم وعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، ج 1، ص: 16.

[7]- العلوي، الطراز، تح: بن عيسى طاهر، دار المنار الاسلامي، ط 1، 2007، ص: 192.

يفهم من هذه التعاريف أنّ الأمر في اللغة هو التكليف وفي الاصطلاح هو صيغة من صيغ الإنشاء يطلب فيها المتكلم حدوث الفعل من المخاطب وإلزام تنفيذه، وتكون هذه الصيغة من أعلى إلى أدنى، فصاحب المرتبة الأعلى يطلب ممن دونه في المرتبة حصول الفعل وتحقيقه، كأن يكون الأمر من الله إلى عباده ويكون واجب التنفيذ، لقوله عز وجل ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(البقرة: 42). وأمر الرسول يعلمنا بالصلاة مثله بقوله ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) حديث شريف، وكذلك أمر الرئيس للمرؤوس، وفي كل هذه الحالات ورد الأمر حقيقي لأنّه طلب حدوث الفعل من أعلى مرتبة إلى من هو أدنى منه.

2- صيغ الأمر: للأمر أربع صيغ: وهي فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، النائب عن المصدر فعل الأمر.

أ- **فعل الأمر**: وهو كل «لفظ يشتق على غرار "أفعل" للدلالة على طلب الحدث الذي تشتق منه هذه الصيغة»[1] نحو: أكرم أباك.

ب- **المضارع المقرون بلام الأمر**: هذه اللام تستعمل في أمر الغائب، و«لام الأمر يطلب بها الفعل المضارع الدالة عليه، فتدخل على الفعل لتؤذن أنه مطلوب للمتكلم»[2]ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾(الطلاق: 07)، والأمر موجه للأغنياء.

ت- **اسم فعل الأمر**: وهي عبارة عن« "ألفاظ" تقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها، وفي عملها»[3]نذكر منها: مه، صه، أمين، إيه، عليك، إليك، هات، نحو قوله تعالى:﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: 111).

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 318.

[2]- الأوسي قيس اسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، 1988م، ص: 146.

[3]- ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار إحياء التراث، القاهرة، ط 2، 1980، ج2، ص: 237.

ث- **المصدر النائب عن فعل الأمر:** وهي صيغة الأمر التي يستعمل فيها المصدر منصوبا على الأمر، «دالا على حدث غير مقترن بزمن متضمنا حروف فعله لفظا»[1]، يقول تعالى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلآَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً﴾(الاسراء: 23) بمعنى أحسن إحسانا.

ثالثا: النهي

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنهي:

جاء في لسان العرب :« نهيت عن الشيء: أبيته وتركته، ومن كلامهم إذا أكلنا التمر وشربنا الماء ناهيت أنفسنا عن اللحم أي أبته فتركته»[2]. وفي القاموس المحيط:« نهاه ينهاه نهيا: ضد أمره فانتهى وتناهى»[3].

ومعنى النهي في أساس البلاغة: «نهاه فانتهى وهو نهو عن الشيء، وما ننهاه عنا ناهية أي ما تكفه عنا كافية»[4].

وفي الاصطلاح: يعرف التهانوي النهي بأنه ضد الأمر بقوله: «النهي أي كلام دال على طلب الكف من الفعل على سبيل الاستعلاء وضعا أو هو القول القائل استعلاء (لا تفعل)»[5]. ويعرف بسيوني فيود النّهي بقوله: «هو كل أسلوب يطلب به الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام فيكون من جهة عليا ناهية إلى دنيا منتهية»[6]. أما حمزة العلوي فعرفه بأنّه:" «صيغة إنشائية دالة على المنع من الفعل على جهة الاستعلاء... وحقيقته طلب ترك الفعل»[7].

---

[1]- ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين، دار رحاب، الجزائر، ص: 284.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ه ى).

[3]- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (ن ه ى).

[4]- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (ن ه ى).

[5]- التهانوي، كشاف مصطلحات الفنون والعلوم، تح: على دحرج، مكتبة لبنان، ط 1، ص: 367.

[6]- بسيوني، فيود، علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2015م، ص: 299.

[7]- العلوي، الطراز، مصدر سابق، ص: 193.

نستنتج أنّ المعنى الاصطلاحي يتفق مع المعنى اللغوي وهو الترك والامتناع عن حدوث الفعل وعدم تحقيقه وتكون صيغته من أعلى إلى ممّن هو دونه وبذلك فهو يتفق مع الأمر في ضرورة توفر شرط الاستعلاء وأن الكلام يكون موجهاً للغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرا أو ناهيا لنفسه، ويختلفان في صيغة الطلب فإمّا بتحقيق الفعل الناتج عن إرادة المأمور، أو بتركه والامتناع عنه الناتج عن كراهية المنهي.

2- **صيغة النهي:** اتفق العلماء من نحاة وبلاغيين على أنّ للنهي صيغة مخصوصة وهي المضارع المقرون بـ(لا) الناهية (لا تفعل)سواء أسندت هذه الصيغة إلى المفرد أو المثنى أو الجمع أو كانت للمخاطب أو الغائب أو المتكلم يقول سبويه في "باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها: «وذلك: لم، ولما، واللام التي في الأمر، وذلك قولك: ليفعل، ولا النهي وذلك قولك لا تفعل...»[1] وكذلك يصرح السكاكي بأنّ للنهي صيغة واحدة فيقول: «للنهي حرف واحد وهو "لا الجازم" في قولك: (لا تفعل)»[2].

ومنه يتضح أنّ للنهي صيغة واحدة وهي (لا الجازمة) التي تجزم الفعل المضارع، وتستعمل هذه الصيغة للمخاطب نحو قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾(الممتحنة: 01). وأيضا مع الغائب نحو قوله تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ ٱلْمُومِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ﴾ (آل عمران: 28). وقليلا ما تستعمل مع المتكلم.

[1]- سبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج 3، ص: 08.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 320.

رابعا: النداء

1- المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

النداء في أصل اللغة: «الصوت وهو مشتق من الندى وهو بعد الصوت وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء: أي صاح به، والنداء ممدود: الدعاء بأرفع الأصوات وتنادوا: أي نادوا بعضهم بعضا ورجل ندي الصوت أي يعيده»[1].ومنه في التنزيل العزيز:﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾(غافر: 32)

وقد جاء أيضا في أساس البلاغة معنى النداء: «ندي: جلس في نادي قومه ونديتهم جالستهم، وندوة ونداوة وندى: فأنا أناديك ولا أناجيك ونودي للصلاة وإذا سمعت النداء فأجب»[2]. وفي المعجم الوسيط معنى النداء هو «نادى الشيء مناداة، ونداء: ظهر، ويقال نادى به جالسه في النادي وشاوره وتنادى القوم: نادى بعضهم بعضا واجتمعوا في النادي»[3].

وفي الاصطلاح يقول عنه سبويه: «اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره والمفرد رفع وهو في موضع نصب»[4] ويعرفه الزركشي هو: «طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص»[5]. وكذلك نجده عند فضل حسن عباس هو: «طلب إقبال المخاطب، وإن شئت فقل دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل (كأدعوا أو أنادي)»[6].

ومنه نخلص أنّ معنى النداء لغة هو التصويت أو الدعوة والإقبال وفي الاصطلاح هو طلب بتصويت من المتكلم يوجهه إلى المخاطب بغرض أن يدنو نحوه والإقبال إليه، وذلك

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة، (ن د ي).

[2]– الزمخشري، أساس البلاغة، مصدر سابق، مادة (ن د ي).

[3]– مجمع اللغة، المعجم الوسيط، مادة (ن د ى).

[4]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1972، ج 2، ص: 133

[5]–سبويه، الكتاب، مصدر سابق، ج 2، ص: 182.

[6]– فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 4، 1997م، ص: 172.

باستخدام أحد الحروف المخصوصة للنداء بدلا من أن يتلفظ بكلمة أنادي أو أدعو وقد يستغنى عن هذا الحرف إذا فهم المخاطب بأن الكلام موجه إليه.

2-أدوات النداء: أحرف النداء ثمانية وهي (يا، أ أي، آ، آي، أيا، هيا، وا) وقسموها قسمين:

أ-قسم ينادي به القريب وخصوه بالهمزة (أ) و(أي).

ب- قسم ينادى به البعيد وخصوه بباقي حروف النداء وجمعها ابن مالك في قوله:

وللمنادى الناء أو كالناء "يا" و"أي" و"أ" "كذا" أيا "ثم "هيا"

والهمزة للداني و "وا" لمن ندب أو "يا" وغير "وا" لدى اللبس اجتنب[1]

✓ **الهمزة:** وتأتي الهمزة لنداء القريب كقول امرئ القيس:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلُّل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي[2]

✓ **أي:** وتكون أي لنداء القريب والبعيد كما أنها تفسر بها الجملة والمفرد، نحو: وترمينني بالطرق أي أنت مذنب وتقليني، لكن إياك لا أقلي.

✓ **يا:** وضعت يا لنداء البعيد حسا أو معنى أو حكما كالنائم والساهي، وقد ينادى بها القريب للتوكيد أو المتوسط البعد، ولا ينادى اسم الله تعالى والمستغاث وأيها وأيتها إلا بها ولا يقدر عند الحذف سواها، نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: 29).

✓ **أيا وهيا:** تأتي أيا لنداء البعيد والأصح أنها أصل لـ هيا" أبدلت همزتها هاء، نحو: هيا محمد تعال.

✓ حرف لنداء البعيد أو ما في حكمه كالنائم والساهي ولم يذكرها سبويه في الكتاب نحو: أسعيد.

✓ **أي:** وهي من حروف النداء وتختص بنداء البعيد.

---

[1]- ينظر: ابن مالك، ألفية ابن مالك، المكتبة الشعبية، بيروت، 2011م، ص: 38.

[2]- امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ/2004م، ص: 29.

✓ **وا:** من حرف النداء وتختص بالمنادى المندوب نحو: وا ولداه[1].

ملاحظة: وقد ينزل القريب وينادى بغير الهمزة وأي، إشارة لعلو مرتبته كأن تجعل بينك وبينه مسافة في المكان للدلالة على الرفعة والشأن التي يتمتع بها المنادى وهو معك فينادى بمنزلة البعيد منك نحو: (أيا مولاي)، أو لانحطاط منزلته ودرجته وتجاهلك إليك فتناديه وهو معك منزلة البعيد منك نحو: (أيا هذا) أو الساهي والشارد الذهن وهو معك وكأنه غير حاضر فتناديه منزلة البعيد منك نحو: (أيا فلان)[2].

3-أحكام المنادى:

والمنادى هو المطلوب إقباله بإحدى أدوات النداء وله خمسة أنواع: المفرد، النكرة المقصودة، النكرة غير المقصودة، المضاف، الشبيه بالمضاف.

أ. **المفرد العلم** وهو ما ليس مضاف ولا شبيه بالمضاف ويدخل فيه المثنى والجمع نحو: يا محمد ويا محمدان، ويا محمدون.

ب.النكرة المقصودة: وهي التي يقصد بها واحد معين مما يصح لفظا عليه نحو: "يا ظالم".

ج.النكرة غير المقصودة: وهي التي يقصد بها واحد غير معين، نحو: يا غافلا والموت يطلبك.

د. المضاف: نحو: يا أمير المؤمنين.

هـ.الشبيه بالمضاف: وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو: يا كريما خلقه"[3].

---

[1]- ينظر: عبد الله الكردي، كفاية المعاني في حروف المعاني، شرح وتحقيق: شفيع برهاني، دار اقرأ، سورية، ط1، 1426هـ/2005م، ص: 89-154.

[2]- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص: 105-106.

[3]- ينظر: محمد محي الدين، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 1968هـ/2007م، ص: 168-169.

خامسا: التمني:

1-المفهوم اللغوي والاصطلاحي

جاء في مفهوم معجم لسان العرب معنى التمني: «التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون، وتمنيت الشيء أي قدرته وأحببت أن يصير إليّ»[1]. وفي معجم الصحاح يقول الجوهري: «منيت الشيء ومنيت غيري تمنية وتمنى الشيء أراده، ومناه إياه ربه وهي المنية والأمنية»[2]. وجاء أيضا في معجم الرائد: «تمنى تمنيا أي تمنى الشيء: أراد حصوله وتمنى الحديث اخترعه واختلقة وتمنى بمعنى جذب، وتمنى الكتاب قرأه»[3].

وفي الاصطلاح يعرف التهانوي التمني بكونه «يطلق على حصول الشيء على سبيل المحبة وعلى الكلام الدال على هذا الطلب، وهو بهذا المعنى من أقسام الإنشاء الطلبي وينبغي أن نفيد المحبة المجردة من الطمع والتوقع»[4].

ويعرفه القزويني بأنّه «طلب حصول شيء على سبيل المحبة مع نفي الطماعية في ذلك»[5]. أما التمني عند حمزة العلوي هو: «عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل»[6].

من خلال المفهوم اللغوي والاصطلاحي نجد أنّ التمني في اللغة هو إرادة حصول الشيء وفي الاصطلاح جعل التهانوي التمني للشيء المحبوب غير المتوقع ويتفق بذلك مع القزويني بينما العلوي جعل التمني هو طلب حصول الشيء المحبوب إمّا لأنّه مستحيل الحدوث أو صعب التحقيق فالتمني إذن هو كل طلب تميل إليه النفس وترغب فيه وتحبه دون مراعاة لوقوعه أو الترقب في الحصول عليه، وإن كان المطلوب متوقفا ومترقب

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (م ن ى).

[2]– اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399ه/1979م، مادة (م ن ى).

[3]– جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، 2011م. مادة (ت م ن ى).

[4]– التهانوي، كشاف المصطلحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997، ص: 509.

[5]– الخطيب القزويني، الايضاح في الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 200.

[6]– العلوي، الطراز، مصدر سابق، ص: 160.

الحصول عليه كان بذلك ترجيا، لأن الترجي يكون في الأشياء التي من الممكن حصولها فالتمني هو طلب المستحيل والترجي هو طلب الممكن.

2-أدوات التمني: إن الأداة الأصلية الموضوعة للتمني هي ليت" يقول السكاكي «أعلم أن الكلمة الموضوعية للتمني هي "ليت" وحدها»[1]، يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: 40).

[1]– السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 307.

المبحث الثالث: دلالات الإنشاء الطلبي

أولا: مفهوم الدلالة:

لغة: قال ابن فارس: «الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والأخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم دللت فلانا على الطريق والدليل: الأمارة في الشيء، وهو بين الدلالة والدِلالة»[1].

ويعرّف الجوهرّي الدلالة بقوله:" الدلالة في اللغة «مصدر دل وقد دله على الطريق في معنى أرشده"[2]، وأما صاحب اللسان في تعريفه للدلالة يقول:" الدليل: ما يستدل به، والدال وقد دله على الطريق يدله والدلالة ما جعلته الدليل الذي يدلك»[3].

وفي الاصطلاح: يعرّف الشريف الجرجاني الدلالة بأنّها: «كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول»[4].

ويعرّفها هادي نهر بأنّها: هي «ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على لمعنى الذي توحي به الكلمة المعنية أو تحمله أو تدل عليه سواء كان المعنى عينا قائما بنفسه أو عرضا»[5]، وكذلك نجد تعريف الدلالة عند أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة هي عبارة عن :«كون اللفظ يحدث متى أطلق تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على ما وضع لأجله»[6].

من التعريف اللغوي والاصطلاحي يتضح لنا معنى الدلالة، فالدلالة عند علماء اللغة هي التوجيه والإرشاد وفي الاصطلاح فهي ليست مجرد دال ومدلول في حد ذاته، وإنَّما الدلالة تعتمد على الدور الذي يؤديه الدال في استشفاف الخفايا والمكنونات ليميط اللثام عن

---

[1]– ابن فارس، مقايس اللغة، مادة (د ل).

[2]– الجوهري، الصحاح، مادة (د ل ل).

[3]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (د ل ل).

[4]– الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د ط، د ت، ص: 99.

[5]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007م، ص: 26.

[6]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط 1، 1998م، ص: 18.

معناه أو مدلوله، وبالتالي فإنَّ دلالات الإنشاء الطلبي هي تلك المعاني والإيحاءات التي من أجلها يلقي المتكلم كلامه بحسب ما يتطلبه الحال والموقف، باستخدام مختلف الصيغ والتراكيب التي تتناسب مع المقام والتي تتضح من خلال التمعّن والنظر إلى السياق الذي قيل فيه بواسطة إدراك المرء لتجاربه وثقافته من أجل الوصول إلى المعنى، وهذا ما نقول عنه سر التعبير البلاغي، وسنتناول فيما يلي أهم المعني والدلالات التي تخرج إليه نوع الإنشاء الطلبي.

ثانيا: دلالات الإنشاء الطلبي

1- دلالات الاستفهام: وقد تخرج أدوات الاستفهام عن معناها الأصلي وهو طلب العلم بمجهول فيستفهم بها عن الشيء المعلوم لأغراض ومعان أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته ومن أهم هذه المعاني والدلالات نجد:

أ. **الاستبطاء:** وهو عد الشيء بطيئا في زمن انتظاره فيخرج الاستفهام فيه عن معناه الأصلي للدلالة على بعد زمن الإجابة بعد زمن السؤال وهذا البعد يستلزم الإبطاء[1]. نحو قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(ياسين: 48)

ب.الاستبعاد: وهو عدُّ الشيء بعيدا والفرق بينه وبين الاستبطاء أنّ« الاستبعاد متعلقه غير متوقع والاستبطاء متعلقه متوقع غير أنّه بطيء في زمن انتظاره»[2]، نحو قوله تعالى:﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾(الدخان: 13).

ج.**التعظيم:** ويأتي الاستفهام للدلالة على «ما يتحلى به المسؤول عنه من صفات حميدة كالشجاعة والكرم والسيادة وما أشبه ذلك»[3]، يقول المتنبي:

من للمحافل والجحافل والسرى فقدت بفقدك نورا لا يطلع[4]

[1]- بسيوني فيود، علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2015م، ص: 130.

[2]- المرجع نفسه، ص: 132.

[3]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2009م، ص: 99.

[4]- أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ج2، ص: 52.

د. **التحسر:** ويرد الاستفهام مرادا به معنى التحسر والتألم وذلك في مقام يظهر فيه المستفهم حزنه وتحسره على ما فات[1]، تقول الخنساء في أخيها صخر:

هيا لهفي عليه ولهف نفسي أيصبح في التراب وفيه يمسي[2]

هـ.**التعجب:** وقد يأتي الاستفهام بمعنى «التعجب وذلك في مقام يتعجب فيه المتكلم من مضمون الكلام»[3]. نحو قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ (النمل: 20).

و. **التنبيه على الضلال:** وذلك في مقام «يقصد فيه المتكلم لفت نظر المخاطب إلى خطئه»[4] كقوله تعالى:﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾(التكوير: 27).

ز. **التشويق:** وذلك عندما «يقصد المتكلم إلى ترغيب المخاطب واستمالته»[5]. لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ هَلَ اَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ اَلِيمٍ ﴾(الصف: 10).

ح.**التقرير:** وقد يراد من الاستفهام «التقرير وذلك إذا أراد المتكلم جمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الكلام»[6]. كما في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾(الشعراء: 18)

وقد ذكر ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة معاني أخرى يخرج إليها الاستخبار أي الاستفهام من معناه الحقيقي للدلالة عليها، ومن هذه المعاني يقول: ويكون

---

[1]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، مرجع سابق، ص: 100.

[2]– محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار الميداني، جدة، ج1، ص: 269.

[3]– عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 2، 1405ه/1986م، ج2، ص: 105.

[4]– المرجع نفسه، ص: 108.

[5]– بسيوني فيود، علم المعاني، المرجع سابق، ص: 141.

[6]– المرجع نفسه، ص: 144.

اللفظ استخبارا والمعنى تفجع نحو: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصِيهَا﴾(الكهف: 49)، ويكون استخبارا والمعنى تكثير نحو: ﴿ءَآنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ إِتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(المائدة: 116) ويكون استخبارا والمعنى استرشاد نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُّفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾(البقرة: 30) ويكون استخبارا والمعنى إفهام نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾(طه: 17) ويكون استخبارا والمعنى تكثير لقوله تعالى ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتاً اَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾(الأعراف: 4) ويكون استخبارا والمعنى إخبار وتحقيق نحو قوله تعالى: ﴿هَلَ اَتىٰ عَلَى ٱلِانسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾(الانسان: 01) بمعنى قد أتي[1].

ط. الإنكار: ذكر عبد القاهر أنّ الإنكار يجيء لتنبيه المخاطب للرجوع إلى نفسه فيخجل ويرتدع عما كان سبيله، لأنّه إمّا أن يكون إدّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه أو همّ بأن يّفعل ما ليس بصواب، أو جواز وجود أمر لا يوجد مثله[2].

لقوله تعالى:﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتاً اَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾(يونس: 78)

وينقسم قسمين:

- **إنكاري للتوبيخ:** وهو نوعان

تعيير المخاطب: وتعريفه على أمر وقع منه في الماضي نحو: (أعطيت ربك).

تعيير المخاطب: وتعريفه على «أمر واقع في الحال أو خيف وقوعه في الاستقبال»[3]، نحو: (أتعصي ربك).

---

[1]- ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ص: 186-187.

[2]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، دار ألميرقم، إيران، د ط، 1404هـ، ص: 94.

[3]- المصدر نفسه، ص: 98.

- **إنكاري للتكذيب:** وهو نوعان

✓تكذيب ما ادّعاه المخاطب في الماضي بمعنى لم يكن ذلك

نحو: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُم رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾(الاسراء: 40)

✓تكذيب المخاطب فيما ادّعى وقوعه على الحال أو الاستقبال بمعنى لا يكون ذلك[1]، نحو: هل الظّالم راحم للنّاس.

2- **دلالات النّهي:** عرفنا أنّ النهي الحقيقي في الأصل هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام فالنّهي أيضا يخرج إلى معان وأغراض عديدة شأنه شأن باقي الأساليب الإنشاء الطلبي والتي يمكن إدراكها من السياق ومن أهمها:

أ. **الدعاء:** وقد تستعمل صيغة النّهى في «مقام الدعاء وذلك إذا كانت على وجه التضرع والتذلل»[2]. لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة: 286)

ب.**النصح والإرشاد:** وذلك عندما يكون «النّهي يحمل بين ثناياه معني من معاني النصح والإرشاد»[3]، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (المائدة: 101)

ج.**التوبيخ:** عندما يكون «المنهي عنه أمر لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، يقول أبو الأسود الدؤلي»[4]:

---

[1]- ينظر: القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ج3، ص: 72.

[2]- عبد العزيز عرفة، من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص: 88.

[3]- أحمد مطلوب، الأساليب الانشائية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص: 77.

[4]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص: 86.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

د. **التهديد:** وذلك عندما «يقصد المتكلم أن يخوف من هو دونه قدرا ومنزلة عقبه القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم، يقول أبو القاسم الشابي»[1]:

لا تهزأنّ بنوح الضعيف فمن يبدر الشوك يجني الجراح

هـ.**الالتماس:** وذلك إذا كان النهي من المساوي أو النَّد بدون استعلاء ولا خضوع ولا تذلل كقولك لنظيرك: لا تفعل هذا[2]. لقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى قال ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَاخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِيَّ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾(طه: 94).

و. **التحقير:** عندما يكون الغرض من «النهي الازدراء بالمخاطب والتقليل من شأنه وقدرته»[3] كقول الحطيئة في الزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي[4]

ز. **التيئيس:** ويكون في «حال المخاطب الذي يهم بفعل أمر لا تقع له من وجهة نظر المتكلم ويقصد به قطع الأمل أو عدم الجدوى»[5]، لقوله تعالى:﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَاخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِيَّ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ (التحريم: 07).

ح.**التسوية:** ويكون في مقام يتوهم فيه أحد الشيئين أرجح من الآخر[6]، لقوله تعالى: ﴿اِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

[1]– أحمد مطلوب، الأساليب الانشائية، المرجع السابق، ص: 86.

[2]– بسيوني فيود، علم المعاني، مرجع سابق، ص: 103.

[3]– على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة العربية الواضحة، المكتبة العلمية، بيروت، ص: 92.

[4]– حمدو طمّاس، ديوان الحطيئة، دار الحطيئة، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2005م، ص: 17.

[5]– عبد العزيز عتيق، علم المعاني، مرجع سابق، ص: 87.

[6]– القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ص: 144.

تَعْمَلُونَ﴾(الطور: 16) إلى غير ذلك من الدلالات والمعان التي تخرج إليها صيغة النهي والتي لا يمكن حصرها ويمكن إدراكها من السياق بمعونة قرائن الأحوال.

3- دلالات النداء: وقد تخرج أدوات النداء أيضا عن موضعها الأصلي إلى معان ودلالات أخرى لا علاقة لها بالنداء يرشدنا السياق إلى فهمها بمعونة قرائن الأحوال المختلفة باختلاف الموضع الذي تدل عليه ومن أهمها نذكر:

أ. **التحسر:** وهو في البلاغة إحدى المعاني التي خرج فيها النداء عن معناه الحقيقي، «ففيه يستعمل النداء بمد الصوت تعبيرا عن تأوه داخلي في النفس، فيقول مثلا: يا حسرتي، يا حسرتاه، يا حسرتا ويرافق التحسر الندم والتمني غالبا إذا المتحسر يتحسر من أجل نفسه»[1] نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذتُّ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾(الفرقان: 27).

ب. **التمني:** ويستعمل النداء في "التمني بمد الصوت تعبيرا عن مشاعر النّفس المتمنية أمرا عسير المنال أو متعذرة"[2]، لقوله تعالى: ﴿وَلَو تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ﴾(الأنعام: 27).

ج. **الاستغاثة:** وهو أحد الأساليب التي يخرج إليها النداء ولا يتحقق الغرض منه إلاّ بتحقيق الأركان الثلاث: حرف النداء (يا) والمستغاث به وهو المنادى الذي يطلب منه العون والمساعدة والمستغاث له، وهو الذي يطلب بسببه العون إمّا لنصره وتأييده وإمّا للتغلب عليه كقولك: يا الله: أي أغثني[3].

---

[1]- عبد الرحمان حبنكة الميداني، البلاغة العربية علومها وفنونها وأسسها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996م، ص: 246.

[2]- المرجع نفسه، ص: 248.

[3]- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، مراجعة الأزهو المعمور، إدارة الطباعة الفسيرة، د ط، د ت، ج5، ص: 358.

د. **الاختصاص:** ومعنى ذلك أنّ كل منادى مختص فتناديه من بين من بحضرته دون غيره لأنّك تخصه وتقصده بذلك، ولهذا جاء النداء بلفظ النداء لاشتراكهما في معنى الاختصاص وإن لم يكن منادى[1].

هـ. **الندبة:** هي نداء «المتفجّع عليه أو المتوجّع منه وأداء الندبة هي (وا)، وقد تستعمل (يا) عندما تكون الندبة واضحة كما يجوز معاملة الندبة كالنداء مبني على الضم نحو: وا عليَّ، أو منصوب، نحو: وا فاتح القدس»[2].

و. **الدعاء:** وهو من بين أكثر المواضع التي يخرج فيها النداء عن معناه الأصلي على سبيل الاستعطاف والمبالغة في الصراع وطلب الرحمة[3]، نحو قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِے لِلإِيمَـٰنِ أَنَ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران: 193).

4- **دلالات الأمر:** ذكرنا أن صيغة الأمر تكون من أعلى إلى أدنى، ولكنها تخرج عن هذا الغرض إلى صيغ عديدة وطرق مختلفة وكلمها دون الاستعلاء فينتج عنها معان وأغراض أخرى يدلنا عليها السياق.

أ. **الدعاء:** وهو الطلب على سبيل التضرع والخضوع ويكون في كل صيفة أمر يخاطب بها من أدنى إلى من هو أعلى منه منزلة وشأنا والعلاقة بين الأمر الدعاء هي الاطلاق والتقييد[4]، نحو قوله تعالى:﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِے وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُومِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾(ابراهيم: 41).

---

[1]- ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر السابق، ص: 248.

[2]- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، مرجع سابق، ص: 93.

[3]- ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج1، ص: 131.

[4]- ينظر: القزويني، الايضاح في البلاغة، مصدر سابق، ص:86.

ب. **النصح والارشاد:** ويكون أسلوب الأمر «للنصح والإرشاد وذلك إذا انتهي إلى نصيحة لم تكن على الإلزام»[1]. لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: ((إن أردت أن تسبق الصديقين فصل من قطعك واعط من رحمك واعف عمن ظلمك)) حديث شريف.

ج. **التعجيز:** ويكون في «مقام مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه إظهارا لعجزه وضعفا منه وعدم قدرته على فعله من قبيل التحدي»[2]، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة: 23).

د. **التهديد:** ويكون في مقام «عدم الرضا بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفا وتحديرًا له ويسميه ابن فارس الوعيد»[3]، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾(يونس: 102).

هـ. **الالتماس:** وقد يخرج الأمر إلى غرض الالتماس إذا «استعمل من زميل إلى زميله أو من ند إلى نده على سبيل التلطف وبدون التضرع والاستعلاء»[4]. كقول إمرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[5]

و. **التمني:** وهو «طلب الأمر المحبوب الذي لا طماعية فيه والعلاقة بين الأمر والتمني هي الإطلاق والتقييد»[6]، لقول عنترة:

يا دار عبلة بالجواد تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي[7]

---

[1]– بسيوني فيود، علم المعاني، مرجع سابق، ص: 86.

[2]– عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، مرجع سابق، ص: 81.

[3]– المرجع نفسه، ص: 95.

[4]– عبد العزيز عرفه، من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص: 80.

[5]– امرئ القيس، دواته، اعتنى به عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1421هـ/2004م، ج1، ص: 14.

[6]– عبد العزيز عرفه، من بلاغة النظم العربي، مرجع سابق، ص: 87.

[7]– حسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ/2002م، ص: 245.

فصيغ الأمر التي تخرج في دلالتها الأصلية لتدل على معان ودلالات أخرى عديدة ولا يمكن حصرها، يقول السكاكي في هذا المقام: «...فإذا صادق هذا الأصل في الاستعمال الشرط المذكور أفاد الوجوب، وإن لم تفد غير الطلب فإنّها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام»[1].

5- دلالات التمني: إذا كان اللفظ اللغوي الأصلي الذي يدل على التمني هو "ليت" فالتمني أيضا يخرج إلى دلالات ومعان بلاغية أخرى ويكون ذلك باستعمال ثلاثة ألفاظ وهي: هل، لعل، لو وكلها تفهم من سياق الكلام.

أ- **هل:** وتستعمل هل في التمني بإبراز حال المتمني في صورة القريب من التحقيق حب فيه وشوقا وتعلق به[2]، نحو قوله تعالى:﴿ فَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلِ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾(غافر: 11).

ب- **لعلّ:** وهي أداة «للترجي ولكنّها عندما نستخدمها في رجاء شيء لا يمكن حدوثه في الواقع إنّما هو تمنٍ يرجى حدوثه لتعلق القائل به»[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(القصص: 38).

ت- **لو:** والغرض البلاغي من "لو" للدلالة على عزّة متمناه وندرته حيث أبرزه في صورة الذي لا يوجد لأنّ "لو" تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط"[4]. لقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(الشعراء: 102).

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 428.

[2]- فضل عباس، البلاغة العربية فنونها وأفنانها، ص: 158.

[3]- المرجع نفسه، ص : 158.

[4]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصهليلي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ص: 114.

حروف التنديم والتحضيض: وهي: هلا، ألا، لولا، لوما.

يرى السكاكي أنّ هذه الأحرف كأنّها مأخوذة من "هل" و"لو" فقلبت الهاء همزة في (ألا) مركبتين مع (لا) و(ما) الزائدتين وذلك ليولد التمني الذي أفاد معنى التنديم في الماضي نحو: (هلا أكرمت صاحبك) و(لولا قاتلة الأعداء)، ومعنى التحضيض يكون في المضارع كقولك: (ألا تكرم صاحبك)، (ولو ما تجتهد في عملك) [1].

فالتمني فيما فات يتولد معنى التنديم والتمني فيما هو آت يتولد عنه معنى التحضيض فهنا التمني ليس مقصودا بذاته بل خرج إلى معان أخرى تفهم من السياق وبمعونة قرائن الأحوال.

[1]– ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص: 148.

الفصل الثاني

الإنشاء الطلبي ودلالته عند الطاهر بن عاشور في سورة البقرة

التعريف بالسورة

دلالات الاستفهام

دلالات الأمر والنهي

دلالة النداء والتمني

تمهيد:

فصّل ابن عاشور معاني عديدة ومتنوّعة يخرج إليها الإنشاء الطلبي عن معناه الحقيقي، فلا يكاد يوجد أسلوب إنشائي إلاّ وبيّن الغرض البلاغي منه وما يحمله من دلالات وإشارات، وسيتناول هذا الفصل أهم دلالات الإنشاء الطلبي في سورة البقرة عند ابن عشور في التحرير والتنوير.

التعريف بالسورة

تسميتها: سميت هذه السورة "سورة البقرة" لاشتمالها على قصة البقرة، التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها، لاكتشاف قاتل إنسان، بأن يضربوا الميِّت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل[1].

نزولها: وهي مدنية بلا خلاف يقول الواحدي: أول سورة نزلت بالمدينة هي سورة البقرة[2].

مقصودها: هو «إقامة الدليل على أنَّ الكتاب هدى، ليتبع يفي كل ما قال وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالبعث، ومجمعه الإيمان بالآخرة، ومداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة»[3].

ترتيبها: السورة الثانية بحسب الرسم القرآني والسورة الأولى من قسم الطوال والسابعة والثمانين في ترتيب نزول القرآن بعد سورة المطففين وقبل سورة آل عمران[4].

عدد آياتها: هي أطول سورة في القرآن الكريم، استغرقت جزئين ونصف تقريبا من ثلاثين جزءا للقرآن الكريم، وهناك خلاف في عدد آياتها نجد: 285 آية بالعدّ المدني والمكي والشامي و 286 آية بالعدّ الكوفي، و287 آية بالعدّ البصري[5].

---

[1]– وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ج1، ص71.

[2]– الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، ص: 24.

[3]– البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب الاسلامي، القاهرة، د ط، د ت، ج1، ص: 55.

[4]– ينظر: سعيد حوَّى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط2، 1424هـ، ج1، ص: 673.

[5]– ينظر: عمرو الداني، البيان في عدِّ آي القرآن، تح: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1414هـ، 1994م، ص: 140.

موضوعها: تضمّنت سورة البقرة عدة موضوعات ولكن المحور الأساسي الذي يجمعها واحد فهي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم اليومية.

وتتألف من مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة.

أما المقدمة في الآيات (20) الأولى وفيه قسّم الناس حسب التقسيم الربَّاني من متيقن وكافر، ومنافق، وصفة كل منهم.

والقسم الأول: من الآية (21) إلى الآية (167) وتضمن هذا القسم دعوة عامة لجميع الناس عن طريق الإرشاد والموعظة.

والقسم الثاني: من الآية (168) إلى غاية (207) تفصيل في شأن التقوى وبيان أركانها وشروطها وما يدخل فيها.

والقسم الثالث: من الآية (208) إلى الآية (284) ويتضمن دعوة بالدخول في الاسلام كلِّه وتبيان شرائعه.

وجاءت الخاتمة بدعوات جامعة لكل تطلعات التي يتطلع إليها المؤمنون من سمع وطاعة وتوبة وجزاء وعقاب[1].

فضلها: ورد في فضل هذه السورة أحاديث كثيرة عن الرسول عليه الصلاة والسلام:

أ. عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله (ﷺ): ((إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآن سورة البقرة» حسن.

ب. عن أبي أمامة الباهلي قال رسول الله (ﷺ): ((اقرأ سورة البقرة فإنّ أخذها بركة وتركها حسرة)) رواه مسلم.

ج. عن أبي هريرة قال رسول الله (ﷺ): ((صلوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبورا، وزيِّنوا أصواتكم بالقرآن، فإنّ الشّيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)) رواه مسلم[2].

---

[1]– ينظر: سعيد حوَّى، الأساس في التفسير، مرجع سابق، ص: 673.

[2]– ينظر: القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح: مروان عطية وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط4، 1415هـ/1995م، ج1، ص: 228–229.

المبحث الأول: دلالات الاستفهام

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُومِنُونَ﴾(البقرة: 06) وجواب مثل هذا الاستفهام لما كان واحدا من أمرين، كان الإخبار باستوائهما عند المخبر مشيرا إلى أمرين متساويين"[1].

وقد صرّح بهذا المعنى صاحب الكشاف بقوله: «الهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ منهما رأسا، ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم»[2] وكذلك نجد هذا المعنى في المحرر الوجيز لابن عطية حيث يقول أنّ:« اللفظ استفهام ومعناه الخبر وإنّما جرى عليه لفظ الاستفهام لأنّ فيه التسوية التي هي في الاستفهام»[3] ووافق على هذا المعنى القرطبي في تفسيره، وكذا الألوسي في روح المعاني[4].

ومن خلال هذه التفاسير نجد أنّ استعمال صيغة الاستفهام بالهمزة المصاحبة لـ(أم) في هذه الآية أخرجت عن معناها الحقيقي وأدت دلالة التسوية أو المعادلة بين أمرين إمّا الإنذار أو عدمه عن طريق هذه الهمزة والتي هي موضوعة في الأصل للاستفهام، ولم يختلف ابن عاشور مع علماء التفسير في أنَّ الهمزة هنا للتسوية.

---

[1]– طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984م، م1، ج1، ص: 250.

[2]– الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ–1985م، ج1، ص: 390.

[3]– ابن عطية، المحور الوجيز، تح: عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413هـ/1993م، ج1، ص: 87.

[4]– ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م، ج1، ص: 184، ينظر: الألوسي، روح المعاني، تح: على عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص: 130.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾ (البقرة: 13) الاستفهام هنا الإنكار قصدوا منه «التبرء من الايمان على أبلغ وجه»[1]، في حين يرى الأصفهاني في تفسيره أنّ معنى الاستفهام في قوله "قالوا أنؤمن" استعلام على جهة النفي ومعناه لا نؤمن إيمان السفهاء تعريضا بأصحاب النبي عليه السلام»[2] وقد جاء معنى الاستفهام في تفسير البيضاوي لما جاء به ابن عاشور فيقول:« والهمزة فيه للإنكار، واللام مشار بها إلى الناس أو الجنس بأسره»[3] وكذلك هو الحال نجده في صفوة التفاسير إذ يقول: «الهمزة للإنكار مع السخرية والاستهزاء»[4].

ومنه فإنّ الاستفهام إنكاري على رأي ابن عاشور ومن صرّح بهذا المعنى من المفسرين لأنّ هؤلاء الكفار ينكرون الإيمان ويسخرون من الذين آمنوا فالهمزة هنا للإنكار.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيراۘ وَيَهۡدِے بِهِۦ كَثِيراۘۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلاَّ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(البقرة: 26) والاستفهام هنا إنكاري أي «جعل الكلام في صورة استفهام كناية به عن الإنكار لأنّ الشيء المنكر يستفهم عن حصوله»[5]، في حين يرى الزمخشري أنّ معنى الاستفهام في الآية "ماذا أراد الله بهذا" استرذال واستحقار[6]. وأمّا ابن عطية فيرى أنّ معنى

---

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 287.

[2]– الأصفهاني، تفسير الأصفهاني، تح: محمد بيوني، كلية الآدب، جامعة طنطا، ط1، 1420هـ/1999م، ج1، ص: 102.

[3]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد صبحي ومحمود الأطرش، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، م1، ص: 49.

[4]– الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، د ط، 1999م، م1، ص: 36.

[5]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 287.

[6]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 41.

الاستفهام في الآية بأنّه إنكار في لفظ استفهام[1]. وجاء في تفسير الكبير للرازي أنّ الاستفهام في "ماذا أراد الله بهذا" استحقار لهم واستهزاء بهم[2].

من خلال هذه التفاسير يتضح أنّ ابن عاشور يتفق مع ابن عطية بأنّ معنى الاستفهام هو الإنكار في حين نجد شرح معنى الاستفهام عند كل من الزمخشري في الكشاف والفخر الرازي في التفسير الكبير تأويلا واحدا وهو الاحتقار والاستهزاء، ويرى الباحث أنّ الاستفهام ليس للإنكار بمجرد عدم علمهم فحسب فكذلك الاستهزاء والاحتقار بهم واضح وصريح فأن يضرب الله لهم المثل بالبعوضة في صغرها وضعفها دلالة على احتقارهم والاستهزاء بهم على غلوّهم في الكفر واستمرارهم في الظلال والفسق، ومنه نستنتج أنّ هذا الاستفهام يحمل دلالة الإنكار والاحتقار.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة: 28)، والاستفهام هنا مستعمل للتعجب والإنكار بقرينة قوله تعالى "وكنتم أمواتا" فالإنكار «متولد من معنى الاستفهام»[3]. ويتفق مع الزمخشري في معنى الاستفهام بقوله: «معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعوا إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب»[4]. في حين يرى ابن عطية أنّ الاستفهام في الآية" كيف تكفرون" «تقرير وتعجب ومعناه أنّ هذا الأمر فحقه أن يّتعجب منه»[5]ويقول الصابوني في هذا المعنى بأنّه:« استفهام للتوبيخ والإنكار والمعنى كيف تجحدون الخالق وتنكرون الصانع»[6].

[1]– ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 111.

[2]– ينظر: الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج2، ص: 365.

[3]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 374.

[4]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 43.

[5]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 113.

[6]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص: 485.

نستنتج من خلال هذه التفاسير لمعنى الاستفهام في الآية (كيف تكفرون) أنّ ابن عاشور يتفق مع غيره من المفسرين أنّه للإنكار المتولد منه معنى التوبيخ والتعجب.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلَمَ اَقُل لَّكُمۡۚ إِنِّيَ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾(البقرة: 33)، والاستفهام في قوله «ألم أقل لكم" تقريري لأنَّ ذلك القول واقع لا محالة والملائكة يعلمون وقوعه ولا ينكرونه»[1]، ولكن جاء في تفسير البيضاوي أنّ الهمزة في هذه الجملة القرآنية للإنكار حيث يقول:« والهمزة للإنكار دخلت على حرف الجحد فأفادت التقرير»[2]، بينما ذكر أبو حيان في البحر المحيط أنّ معنى الاستفهام في (ألم أقل لكم) تقرير لأنَّ «الهمزة إذا دخلت على النفي كان الكلام في كثير من المواضع تقرير»[3]. ويوافق أبو السعود هذا المعنى قائلا:« ألم أقل لكم" لتقرير ما يفيد من تحقيق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام»[4].

نلاحظ من هذه التفاسير أنّ ابن عاشور وافق من سبقه من المفسرين أنّ الاستفهام في الآية السابقة مستعمل للتقرير ويختلف مع البيضاوي في كون الاستفهام للإنكار ويرى الباحث أنّ الاستفهام في الآية "ألم أقل لكم" مستعمل للتقرير وذلك لأنّ الاستفهام التقريري في الأصل هو استفهام إنكار وقد دخل على النفي فأفاد التقرير أو الإثبات والسياق يثبت ذلك.

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 419.

[2]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، ص: 86.

[3]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صرفي جميل، دار الفكر، بيروت، د ط، 1420هـ، ج1، ص: 338.

[4]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج1، ص: 86.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(البقرة: 44) والاستفهام هنا للتوبيخ لعدم استقامة الحمل على الاستفهام الحقيقي فاستعمل في التوبيخ مجازا بقرينة المقام»[1] فأمّا الزمخشري فيرى أنّ الاستفهام في هذه الآية هو: «للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم»[2]. في حين نجد في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي أنّ:« الاستفهام وضعا ومشابها هنا للتوبيخ والتقريع لأنّ المعنى الإنكار عليهم وتوبيخهم على أنّ يأمر الشيء بالخير ويترك نفسه»[3]، ويقول أبو السعود في هذا المعنى:« والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجب»[4].

واضح من خلال هذه التفاسير في شرحهم لدلالة الاستفهام في الآية (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) لم يخرج عن معنى أساسي عند ابن عاشور وغيره من المفسرين وهو التوبيخ، إذ اتفق المفسرون بأنَّ الاستفهام هنا خرج عن حقيقته ليدل على التوبيخ والنص القرآني يثبت ذلك.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾(البقرة: 76) استفهام «للإنكار أو التقرير أو التوبيخ بقرينة دل عليها المقام»[5] وأمّا الزمخشري فيرى أنّه «إنكار عليهم أن يّفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود»[6] ويصرح أبو السعود بأنّ معنى الاستفهام في هذه الآية(أتحدثونهم) فيقول: «والمراد تأكيد التنكير وتشديد التوبيخ»[7]، إلاّ أنّ ابن كثير

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 475.
[2]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 132.
[3]– أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ص: 338.
[4]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 97.
[5]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 570.
[6]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 84.
[7]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 222.

فيرى أنّ همزة الاستفهام هي للتقرير فيقول: أي «تقرون بأنّه نبي وقد علمتم أنّه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه، وهو يخبركم أنّ النبّي الذي كنا ننتظر»[1].

ومنه فإنّ معنى الاستفهام في هذه الآية (أتحدثونهم) هو للإنكار بإجماع أغلبية المفسرين فهم يتفقون مع ابن عاشور في ذلك.

وفي تفسير لقوله تعالى ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (البقرة: 77) الاستفهام فيه على غير حقيقته فهو إمّا مجاز في التقرير أي ليسوا يعلمون ذلك والمراد التقرير، أو مجاز في التوبيخ والمعنى هو هو، أو مجاز في التخصيص»[2]، ويوافق هذا الرأي أبو حيان بأنّ الاستفهام يحمل معنى التوبيخ يقول:« هذا توبيخ من الله لهم»[3] ويقول أبو السعود بأنَّ: «الهمزة للإنكار والتوبيخ»[4]، والواضح من تفسير الصابوني أنّ المراد من «الاستفهام في هذه الآية هو التوبيخ»[5].

اتفق ابن عاشور مع المفسرون أنَّ الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الحقيقي ليؤدي دلالة التوبيخ ولا خلاف في ذلك.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلَ آتَّخَذتُّمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُّخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة: 80) هو استفهام «تقريري للإلجاء إلى الاعتراف بأصدق الأمرين وليس إنكاري لوجود المعادل "أم" لأنّ الاستفهام الإنكاري لا معادل له»[6]. وجاء في تفسير أبي السعود لمعنى الاستفهام بقوله:« والاستفهام لإنكار

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 164.
[2]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 287.
[3]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 118.
[4]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص: 81.
[5]– أبو حيان البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 441.
[6]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 580.

الاتّخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ بالإنكار على تخاذ العهد إلى ما يفيد همزتها من التوبيخ»[1]، ويصرّح الصابوني قائلا أنّ: الاستفهام في هذه الآية للإنكار والتوبيخ[2].

نلاحظ أنّ ابن عاشور خالف سابقيه في معنى الاستفهام وعدّه استفهام تقرير، فيعلّق سيد قطب بتفسير عام لمعنى الاستفهام في هذه الآية (أتخذتم) فيقول: والاستفهام هنا للتقرير، ولكنّه في صورة الاستفهام يحمل كذلك معنى الإنكار والتوبيخ[3].

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوِىٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾(البقرة:87) والاستفهام هنا «للتعجب من طغيانهم»[4]، في حين يصرّح صاحب الكشاف أنّ الهمزة «للتوبيخ والتعجب من شأنهم»[5]، ويقول ابن عطية في تفسيره الآية:« وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ والتقرير»[6]، وكذلك هو الحال في تفسير أبي السعود بأنَّ الاستفهام «لتوبيخ على تعقيبهم ذلك بهذا والتعجب من شأنهم»[7].

والخلاصة أنَّ المعنى المجازي لهمزة الاستفهام في هذه الآية "أكلما" هو للتعجب والتوبيخ، ولا خلاف بينّ ابن عاشور وعلماء التفسير.

---

[1]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 121.

[2]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص: 82.

[3]– ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط2، 2003م، م1، ص: 86–87.

[4]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 596.

[5]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص : 56.

[6]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 176.

[7]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 127.

ويقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَوَ كُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلَ اَكْثَرُهُمْ لاَ يُومِنُونَ ﴾(البقرة: 100) استفهام «مستعمل في التوبيخ»[1]، وجاء في تفسير البيضاوي أنّ «الهمزة للإنكار»[2] وهذا ما ذهب إليه أبو حيان «أنّ المراد من الاستفهام هو الإنكار وإعطاء ما يقدمون عليهم من تكرار عهودهم ونقدها»[3] وكذلك يصرّح أبو السعود بأنّ معنى الاستفهام في هذه الآيات للإنكار بقوله «والهمزة للإنكار»[4].

يبدو أنّ ابن عاشور يرى أنّ معنى الاستفهام في الآية السابقة هو للتوبيخ فهو لم يتفق مع آراء المفسرين الذين يرو أنّه للإنكار، والآية الكريمة تتحدث عن اليهود ونقضهم للعهود ونكرانهم لما عاهدوا عليه وهذه من صفات اليهود، نستنتج أنّ الاستفهام في هذه الآية استفهام إنكاري.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ اَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمَ اَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة: 106) والاستفهام تقريري وهو «شأن الاستفهام الداخل على النفي»[5]، وكذلك الزجاج في معاني القرآن بقوله:« ألم ههنا لفظ استفهام ومعناه التقرير»[6]، وقد أشار صاحب الكشاف بأنّه تقريري[7]، ووافق على هذا الرأي السيد قطب وصرح به في شرحه[8].

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 621.
[2]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 123.
[3]– أبو حيان البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 492.
[4]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 135.
[5]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 669.
[6]– الزجاج، معاني القرآن، مصدر سابق، ص: 191.
[7]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 60.
[8]– ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص: 60.

ومنه فإنّ الدلالة التي اكتسبها الاستفهام في الآية "ألم تعلم" تقرير ولا خلاف في ذلك فالاستفهام الداخل على النفي المراد منه التقرير والإثبات فتفيد النفي إثبات.

وفي تفسير لقوله تعالى:﴿ اَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِالِايمَٰنِ فَقَد ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(البقرة: 108). "أم" حرف عطف مختص« بالاستفهام وما في معناه وهو التسوية»[1]، وكذلك واضّح من تفسير الزجاج للآية (اَمْ تُرِيدُونَ) أنّ الهمزة للإنكار بأن سألوا الرسول بعد وضوح البراهين لهم وإصرارهم على المخالفة[2]، وجاء في تفسير البيضاوي أنّ "أم" معادلة للهمزة أي التسوية[3] في حين يرى أبو السعود أنّ الهمزة للإنكار والاستبعاد[4].

ومنه فإنّ الاستفهام في الآية "اَمْ تُرِيدُونَ " عند ابن عاشور هو للدلالة على التسوية لأنّ الهمزة الاستفهام المصاحبة لـ"أم" تدل على استواء أمرين والسياق القرآني يوضح أنّ "أم" موضوعة للتسوية بيّن أمرين اثنين وهما سؤالكم للرسول الآن كسؤال موسى من قبل سواء.

يقول ابن عاشور في تفسير لقوله تعالى:﴿ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اَسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلاَّ خَآئِفِينَ ﴾(البقرة: 114)، والاستفهام بمن إنكاري، ولما كان أصل "من" أنّها نكرة موصوفة أشربت معنى الاستفهام وكان الاستفهام الإنكاري في معنى النفي صار الكلام من وقوع النّكرة في سياق النفي فلذلك فسروه بمعنى لا أحد أظلم»[5].

---

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 665.

[2]– ينظر: الزجاج، معاني القرآن واعرابه، مصدر سابق، ج1، ص: 192.

[3]– ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ص: 128.

[4]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 144.

[5]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سبق، ص: 679.

ويصرّح أبو السعود بأنّ الاستفهام في هذه الآية بمعنى الإنكار والاستبعاد حيث يقول: «إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوية له»[1]، في حين يرى الألوسي أنّ الاستفهام في الآية (ومن أظلم) في معنى النّفي بقوله: «ولا يراد بالاستفهام حقيقته وإنّما هو معنى النّفي أي لا أحد أظلهم»[2].

ومنه فإنّ الاستفهام في هذه الآية مجازي له دلالة النفي كما وضّح ابن عاشور وكذلك الألوسي ومن السياق يرى الباحث أنّ معنى الاستفهام في الآية و(وأظلم) إنكاري بمعنى النّفي أي لا أحد أظلم.

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾(البقرة: 133) فالاستفهام هنا غير حقيقي «لظهور أن عدم شهودهم مع احتضار يعقوب محقق فتعين أنّ الاستفهام مجازي ومحمله على الإنكار لأنّه أشهر محامل الاستفهام المجازي ولأنّ هذا الاستفهام عنه مألوف في الاستفهام الإنكاري»[3].

وقد صرّح البيضاوي قائلا: «"أم" منقطعة ومعنى الهمزة فيها للإنكار»[4]وكذلك هو الحال عند أبي السعود بقوله: «الهمزة إنكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام»[5].

والخلاصة أنّ الاستفهام في الآية (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ) استفهام مجازي والغرض منه هو الإنكار باتفاق العلماء والمفسرين ولا خلاف في ذلك.

[1]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 149.

[2]– الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ص: 333.

[3]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 730.

[4]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ص: 140.

[5]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 149.

وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ قُلَ اَتُحَآجُّونَنَا فِي اِللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمُ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾(البقرة: 139) أنّ الاستفهام للتعجب والتوبيخ[1]. في حين يفسر صاحب الكشاف أنّ معنى الاستفهام في هذه الآية هو للإنكار[2] وكذلك هو الحال عند أبي حيان في البحر المحيط فيقول:« والهمزة للاستفهام مصحوبا بالإنكار عليهم»[3] ويكاد يطابق هذا المعنى عند أبي السعود بقوله:« والهمزة للإنكار والتوبيخ أي أتجادلوننا»[4].

نلاحظ أنّ الاستفهام في الآية (اَتُحَآجُّونَنَا) غير حقيقي والغرض منه التعجب والتوبيخ في تفسير ابن عاشور ويحمل دلالة الإنكار عند غيره من المفسرين، ويرى الباحث أنّ هذا الاستفهام مستعمل للإنكار المترتب عنه توبيخهم فيما يدعون والتعجب من حالهم.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلَ ءَآنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اِللَّهُ وَمَنَ اَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(البقرة: 140) الواضح من أنّ الاستفهام في الآية يفيد التقرير[5]. وعلى هذا النحو صرّح صاحب الكشاف بقوله: «قل أأنتم أعلم أم الله تقرير يعني أنّ الله شهد لهم بملة الإسلام»[6]، وكذلك علّق ابن عطية عن معنى الاستفهام في الآية قائلا:« آنتُمْ تقرير على فساد دعواهم»[7]، وأمّا أبو حيان يذهب إلى أنّ المراد من الاستفهام في (آنتُمْ) التهكم والاستهزاء فيقول:« (قُلَ ءَآنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) ذلك على سبيل

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 745.
[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص : 322.
[3]– أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ص: 585.
[4]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 168.
[5]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 748.
[6]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص : 68.
[7]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 217.

التهكم بهم والاستهزاء، وذلك لا مشاركة بينهم وبين الله في العلم حتى يسأل الله أهم أزيد علما أم الله»[1].

ومنه فإنّ الاستفهام في الآية (أأنتم أعلم) عند ابن عاشور جاء للتقرير مع اتفاق لأغلب علماء التفسير، فلا يوجد جواب لهذا الاستفهام إلا أنّ الله عز وجل هو أعلم.

ويقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَّاتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَـٰمِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾(البقرة: 210). والاستفهام «إنكاري لا محالة بدليل الاستثناء، فالكلام خير في صورة استفهام»[2]، في حين يصرّح البيضاوي أنّ الاستفهام في الآية (هل ينظرون) للنّفي فيقول:« استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده»[3]، وكذلك أبو السعود بقوله:« استفهام إنكاري في معنى النفي أي ما ينظرون»[4] ويصرّح أبو حيان قائلا:« وهل هنا للنفي والمعنى ما ينظرون»[5].

أجمع علماء التفسير على معنى الاستفهام في الآية (هل ينظرون) خرج عن حقيقته ليؤدي دلالة النّفي، بينما خالفهم ابن عاشور وعدّه للإنكار لا محالة، ومنه نستنتج أنّ الاستفهام في هذه الآية هو الإنكار متولد منه معنى النفي ما ينظرون من جزاء كفرهم وطغيانهم.

[1]– أبو حيان البحر المحيط، مصدر سابق، ص: 87.

[2]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 283.

[3]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج2، ص: 182.

[4] – أبو حيان البحر المحيط، مصدر سابق، ج2، ص: 196.

[5]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 212.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ كَمَ ـاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ـايَةٍ بَيِّنَةٍۗ وَمَنْ يُّبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(البقرة:211) المراد بالسؤال «سؤال التقرير للتفريع، ولفظ السؤال يجيء لما تجيء له أدوات الاستفهام، والمقصود من التقرير إظهار إقرارهم لمخالفتهم لمقتضى الآيات فيجيء من هذا التقرير التقريع»[1]، ويوافقه في ذلك صاحب الكشاف ويقول:« وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة»[2]، والتأويل الذي جاء به البيضاوي يحمل المعنى مثله بأنّ المراد من هذا السؤال تقريعهم[3]، وكذلك الحال عند الألوسي[4].

نستنتج أنّ معنى الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الحقيقي لدلالة التقرير والتقريع والتوبيخ باتفاق المفسرين والسياق يثبت ذلك.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 214) و(مَتَىٰ) استفهام مستعمل في «استبطاء زمان النصر»[5] ويؤكد الزمخشري هذا المعنى في الكشاف بقوله أنّ: متى طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة[6]، كما أفاد الطبري أنّ الاستفهام بـ(مَتَىٰ) للاستبطاء[7].

والخلاصة أنّ الاستفهام في قوله تعالى (مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ) مجازي والمراد به الاستبطاء ولا خلاف بين ابن عاشور وعلماء التفسير في هذا الاستفهام.

---

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 283.

[2]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص : 86.

[3]– ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ص: 183.

[4]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج1، ص: 227.

[5]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 315.

[6]– ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج3، ص: 341.

[7]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 87.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾(البقرة: 247) (أنى يكون له الملك) بمعنى« (كيف) وهو استفهام مستعمل في التعجب»[1]، وقد جاء في تفسير الزمخشري لمعنى الاستفهام على النحو التالي إذ يقول: هو إنكار لتمكنه عليهم واستبعاده بمعنى الإنكار والاستبعاد[2]، أما بالنسبة لصاحب المحيط فقد تحدث عن معنى الاستفهام في هذه الآية وقال بأنّها تدل على الإنكار والتعجب[3]، والواضح من تفسير أبي السعود أنّ المعنى الاستفهام "أنى" للاستبعاد[4]، ويقول أبو بكر الجزائري:« (أنى يكون له الملك)استفهام بمعنى كيف يكون له الملك»[5].

ومنه أقوال المفسرين نستنتج أنّ الاستفهام في الآية (أنى له الملك) استفهام غير حقيقي خرج عن معناه الأصلي بالأداة (أنى) الموضوعة للاستفهام أصلا إلى الإنكار والتعجب والاستبعاد.

وفي تفسير الآية: ﴿مَن ذَا ٱلذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلاَّ بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾(البقرة: 255) يقول ابن عاشور:« وجعلت هذه الآية ابتداء الآيات تقرير الوحدانية والبعث»[6]، ومن الواضح أنّ المعنى عند ابن عاشور هو التقرير، بينما يفسر الزمخشري معنى الاستفهام في الآية (من ذا الذي يشفع عنده) بيان لملكوته وكبريائه[7]. ويذهب الرازي بمعنى الاستفهام في الآية بأنه: «إنكار منفي أي لا يشفع

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 490.
[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 100.
[3]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ص: 266.
[4]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 240.
[5]– أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ص: 112.
[6]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 17.
[7]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 106.

عنده أحد إلا بأمره»[1]، وجاء في تفسير لأبي السعود بقوله أنّ: «الاستفهام في (من ذا الذي يشفع عنده) بيان للتعظيم وعلو الشأن»[2].

والخلاصة أنّ معنى الاستفهام في الآية (من ذا الذي يشفع عنده) عند ابن عاشور هو التقرير و يفسر غيره من البلاغيين أنّ معنى الاستفهام في الآية أنّه للتعظيم أو الإنكار المنفي، والتأويل هنا واحد لأنّ لا جواب لهذا الاستفهام في هذه الآية إلاّ أنّ الله الواحد العظيم الشأن المتصرف في ملكوته ينفي عنه كل موجود إلاّ بأمره.

والخلاصة أنّ معنى الاستفهام في الآية (من ذا الذي يشفع عنده) عند ابن عاشور هو التقرير ويفسر غيره من البلاغيين أنّ معنى الاستفهام في الآية أنه للتعظيم أو الإنكار المنفي، والتأويل هنا واحد لأنّ لا جواب لهذا الاستفهام في الآية إلاّ أنّ الله الواحد العظيم الشأن المتصرف في ملكوته ينفي عنه كل موجود إلا بأمره.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِے حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِے ﴾ (البقرة: 258) والاستفهام في "ألم ترى" «مجازي متضمن معنى التعجب»[3]، ويوافقه الزمخشري بقوله: «تعجب من محاجة نمرود في الله وكفره»[4]، إلاّ أنّ أبا السعود يذهب بتفسيره لمعنى الاستفهام في هذه الآية بأنّه إشهاد وتقرير[5]، وكذلك يشرح الصابوني هذا المعنى في تفسيره إذ يقول:« تعجب للسامع من أمر هذا الكافر المجادل في قدرة الله»[6].

ومنه الاستفهام في هذه الآية (ألم ترى) له دلالة التعجب بإجماع أغلب المفسرين في ذلك.

---

[1]– الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، م4، ص: 09.

[2]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 248.

[3]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 31.

[4]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص : 103.

[5]– ينظر: أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 251.

[6]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ص: 165.

وفي تفسير لقوله تعالى: ﴿فَالَ أَنّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾(البقرة: 259) من الواضح من تفسير ابن عاشور أنّ معنى الاستفهام في هذه الآية هو الإنكار والاستبعاد[1]، وأمّا بالنسبة لصاحب الكشاف فهو يفسر معنى الاستفهام في الآية "أنى يحي" هو استعظام القدرة المحي عز وجل[2]، ومعنى الاستفهام بالنسبة لصاحب المحيط في تفسيره معنى الآية أنّه للاستبعاد[3]، وكذلك يصرّح أبي مسعود بأنّ المراد من الاستفهام هو استبعاد عمارتها بالبناء والسكان[4].

والخلاصة أن الاستفهام في الآية "أنى يحي" مجازي خرج عن معناه الحقيقي ليؤدي دلالة الاستعظام والاستبعاد بواسطة أداة الاستفهام (أنى) وهذا واضح عند ابن عاشور وأقوال المفسرين.

[1]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 36.

[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 104.

[3]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ص: 303.

[4]– ينظر: أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 253.

المبحث الثاني: دلالات الأمر والنهي

أولا: دلالات الأمر: لقد تناول ابن عاشور هذا الضرب من الإنشاء بشيء من التفصيل وهو الوجوب والإلزام للدلالة على معان ودلالات أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال، وذلك باستعمال صيغة الأمر في غير الطلب.

فيقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(البقرة:31). والأمر في قوله (أنبئوني) أمر« تعجيز بقرينة كون المأمور يعلم أنّ الآمر عالم بذلك واستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجازي»[1]، وقد صرّح ابن عطية بمعنى الأمر في هذه الآية (أنبئوني) قائلا: «و(أنبئوني) يخرج من هذ الأمر بالإنّباء تكليف ما لا يطاق ويتقرر جوازه لأنّه تعالى يعلم أنّهم لا يعلمون»[2]، وبذلك فهو يشير إلى أنّ الأمر تعجيز وأشار إلى ذلك أيضا العلامة أبو حيان الأندلسي في تفسيره لمعنى الأمر بقوله:«(أنبئوني) أمر تعجيز لا تكليف»[3]، ووافق الألوسي سابقه في المعنى ذاته بأنّ المراد من الأمر هو إظهار العجز[4].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(البقرة: 23) كون الأمر «للتعجيز يقتضي تعذر المأمور، فليس بشيء من هاته الوجوه بمقتضى وجود مثل للقرآن حتى يراد به بعض الوجوه»[5] وجاء في تفسير الزمخشري معنى الأمر في الآية (فأتوا بسورة من مثله) (فأتوا) أمر قصد به «تعجيزهم باعتبار المأتى، وأنّ عجزهم إنّما هو من

---

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 412.

[2]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 153.

[3]– أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 296.

[4]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج1، ص: 227.

[5]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ص: 338.

الإتيان بشيء منه على قياس معناه»[1] وهذا ما أشار إليه أبو مسعود في تفسيره للآية (فأتوا بسورة من مثله) من باب التعجيز[2].

من خلال تفسير بن عاشور لمعنى الأمر في الآية (أنبئوني) والآية (فأتو) أمر مجازي خرج عن معناه الحقيقي ليدل على التعجيز وليس تكليف بما لا يطاق، فهو بذلك يوافق سابقيه في هذا المعنى والاختلاف بين علماء التفسير في ذلك لأنّ الآمر يعلم بعجز المأمور بما طلبه منه.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَاذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾(البقرة: 279) فهذا تهديد لهم بأن تمسكتم بشرطكم بأكل الرّبا فقد انتقضتم الصلح فاعلموا أنّ موعدكم الحرب، والحرب داعية القتل[3]. وجاء في تفسير صاحب الكشاف بمعنى:« فأذنوا بنوع من الحرب العظيم عند الله ورسوله»[4] وكذلك صرّح ابن عطية في المحرر الوجيز بقوله «توَّعدهم الله إن لم يذروا الرِّبا بحرب من الله ومن رسوله وأمته، والحرب داعية القتل»[5] ويقول الرازي: « وإنّما شدد الله تعالى في ذلك، لأنّ من انتظر مدة طويلة في حلول الأمر ثم حضر الوقت وظن نفسه على أنّ تلك الزيادة قد حصلت له، فيحتاج في منعه عنه إلى تشديد عظيم»[6]، ويصرّح ابن كثير قائلا: وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن استمر تعاطي الربا بعد الإنذار[7].

[1]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص: 242.

[2]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 64.

[3]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 94.

[4]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص : 322.

[5]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ص: 379.

[6]– الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج7، ص: 82.

[7]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص: 286.

من خلال هذه التفاسير يتضح أنّ معنى الأمر في الآية (فأذنوا) عند ابن عاشور وعند المفسرين نفس المعنى وهو التهديد والوعيد والنص القرآني يثبت ذلك بأنّ الله تعالى يتوعّد عباده ويهددّهم بالعقاب إذا استمرو في أكل الرّبا.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿فَانظُرِ اِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرِ اِلَىٰ حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾(البقرة: 259) فإنَّ مجرد النّظر تلقائيا إلى الطعام والشراب أو الحمار غير كاف، لأنَّه ناظر إلى ذلك لا محالة وإنّما المقصود هو الاعتبار من قدرة الله تعالى في حفظ الطعام و الشراب دون أن يمسسه رائحة ولا لون وإلى الحمار سالما كما ربطه وفي إحيائه الخلق بعد موتهم[1]. كما صرّح صاحب الكشاف في تفسيره لمعنى الأمر وذلك بأن يريه آية عظيمة من قدرة الخالق في أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء وذلك حفظ الطعام والشراب من أي تغيير في هذه المدة الطويلة دون أن يلحقه فساد[2]. وأشار أبو حيان إلى هذا المعنى بقوله: وتكرر الأمر بالنظر في هذه الآية ثلاث، لأن كل واحد فيها اعتبار بالغ: بدأ بالنظر إلى الطعام والشراب بأنهما لم يتغيرا بطول المدة، والنظر إلى الحمار يمكن بقاؤه زمناً طويلا، وجاء النظر الثالث توضيحيا للنظر الثاني وهي أن ينظر إلى الحمار من جهة إحيائه وارتفاع عظامه وكسوتها اللحم[3].

نستنتج من أنَّ الأمر في هذه الآية جاء لدلالة التفكير والتدبير والاعتبار بقدرة الله في التصرف بملكوته ونفهم من تفسير ابن عاشور ومن سبقه بأنَّ الأمر في هذه الآية مجازي وغرضه الاعتبار.

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 37.

[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 307.

[3]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج2، ص: 639.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَد عَلِمْتُمُ ٱلذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾(البقرة: 65) يقول ابن عاشور:« وهذ الأمر التكويني كان لأجل العقوبة على ما اجترأوا من الاستخفاف بالأمر الإلاهي»[1]، وصرَّح أبو حيان في شرحه لمعنى الأمر في الآية (كونوا) قائلا أنه: «أمرٌ من الكون وليس بأمر حقيقة لأنّ صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم»[2] وألمح ابن كثير في معنى الأمر للتكوين أنّ الله مسخهم إلى صورة القردة وهي أشبه بالإنسان في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة[3]، في حين نجد الصابوني يشير إلى معنى الأمر في هذه الآية فيقول: «هذا أمر تسخير وتكوين فهو عبارة عن تعلق القدرة بنقلهم من حقيقة البشرية إلى حقيقة القردة»[4].

والخلاصة أنّ معنى الأمر في هذه الآية (كونوا قردة خاسئين) ففي تفسير ابن عاشور خرج عن حقيقته ليدل على معنى التكوين وكذلك أبو حيان ابن كثير، وهو أنّه لما فعلو ذلك مسخهم الله من صورة أناس إلى صورة قردة، وبالإضافة إلى هذا المعنى يرادف الصابوني لمعنى التكوين معنى التسخير، ويرى الباحث سواءً كان الأمر تكوين أو تسخير فالمعنى واحد لأنَّه يدل على قدرة التصَّرف في الشيء والله تعالى قادر على تسخير الأمور إلى مشيئته.

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 545.

[2]– أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 409.

[3]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص:432.

[4]– ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص:60 .

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 168).

والأمر في قوله (كلوا مما في الأرض) مستعمل في «التوبيخ على ترك ذلك وليس للوجوب ولا للإباحة، إذ ليس الكفار بأهل الخطاب بفروع الشريعة، ولكون هذا الأمر من فروع الشريعة التي يتوجه فيها الخطاب للمسلمين لا للكفار، فهذه قرينة على أنّ الأمر يراد به في حق هؤلاء الكفار معنى آخر وهو التوبيخ»[1]، إلاّ أنّ الزجاج يوضّح أنّ معنى الأمر في الآية (كلوا) هو الإباحة بأكل جميع الأشياء إلاّ ما قد حضر[2]. في حين يفسر أبو حيان معنى الأمر بأنّه للإباحة والتسويغ[3]. ويكاد يطابق هذا المعنى عند الطبرسي في تفسيره مجمع البيان لمعنى الأمر(كلو) بقوله:« ظاهره الأمر والمراد به الإباحة لأنّ تناول المشتهي لا يدخل في التعبد»[4].

من خلال أقوال علماء التفسير في شرحهم معنى الأمر في هذه الآية (كلوا) يتضح أنّ ابن عشور يخالف من سبقه في تأويله للمعنى فهو يرى أنّ هذا الأمر يحمل دلالة التوبيخ في حين يجمع أغلب المفسرين أنّ دلالة الأمر هي الإباحة، ويرى الباحث يمكن أن يكون للأمر في هذه الآية دلالتين، فتوبيخ لهم بأن لا يأكلوا المحرمات لأنّ الله لم يبخل عليهم من الحلال الطيّب، والإباحة تأتي بعد الحضر أي أنّه بعدما حرم عليهم بعض المأكولات كالميتة ولحم الخنزير أباح لهم بأكل ما في الأرض من الحلال الطيّب ولمَّا كانت وجوه الحلال كثيرة فعدل عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور لما في الرزق من الامتنان والإحسان[5].

---

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 101.

[2]– ينظر: الزجاج، معني القرآن وإعرابه، مصدر سابق، ج1، ص: 241.

[3]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ص: 602.

[4]– الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ص: 306.

[5]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 659.

ويوافقه ابن كثير بهذا المعنى حيث يقول:« ولما امتنّ الله تعالى عليهم برزقه وأرشدهم إلى الأكل الطيّب»[1].

والخلاصة أنَّ الأمر في هذه الآية الكريمة (كلوا من طيِّبات ما رزقناكم) يدل على الإباحة والامتنان بإجماع المفسرين، فالله تعالى بعد أن أباح لهم الأكل من عليهم بالرزق الطيب، والامتنان قسم من الاباحة نحو قوله تعالى:﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة: 88)[2]، ونلاحظ أنّ ابن عاشور يميّز بين معنى الأمر (كلوا) في الآيتين، فحين كان الخطاب متوجه لعامة النّاس بما فيهم الكفار والمسلمين دل على التوبيخ، ولما توجه الخطاب إلى المؤمنين تغير المعنى إلى الإباحة والامتنان بينما يعتبره باقي المفسرين أنّ المعنى في الآيتين واحد.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ (البقرة: 231.) والمراد هنا أنّ الأجل إذ انقضى زال التخيير بين الإمساك والتسريح، وذكر التسريح مع الإمساك ليظهر معنى التخيير بين أمرين، فالواقع أن المعنى هنا هو التخيير[3]، وجاء هذا المعنى في تفسير الخازن بقوله «فأمسكوهن أي راجعوهن بمعروف أو سرِّحوهن بمعروف أي أتروكهن»[4]ويقول أبو السعود أي «فراجعوهن من غير ضرر أو سرحوهن حتى ينفي أجلهن بإحسان»[5] وكذلك ما أشار إليه

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج2، ص: 35.

[2]– ينظر: السبكي، عروس الأفراح، مرجع سابق، ج2، ص: 321.

[3]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 101.

[4]– الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص: 146.

[5]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 228.

ابن كثير بأنَّ الله عزّ وجلّ أمر الرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقا فإمّا أن يمسكها أي يرجعها أو يسرحها أو يتركها[1].

نستنتج أنَّ معنى الأمر في الآية السابقة أفاد التخيير ولا خلاف بين ابن عاشور وعلماء التفسير في ذلك، فالآية الكريمة تنص بأنَّ في حالة وقوع الطلاق فإن عز وجل يأمر الرجل الخيار بين أمرين اثنين الإمساك أو التسريح والتي دلت عليه الأداة (أو) الموضوعة أصلا للتخيير.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ (البقرة: 45) هذا الخطاب من الله عز وجل لبني اسرائيل وفيه معنى الإرشاد والتوجيه بالامتثال بجميع ما عدده الله لهم من أوامره ونواهيه[2]. ونلمح هذا المعنى من تفسير الزجاج للآية حيث يقول: «استعينوا على ما يذهب عنكم الشهوة بالصلاة، لأنّ الصلاة يتلى فيها ما يرغب فيها عند الله، ويزهد في جميع أمر الدنيا»[3]. فالواضح من الزجاج أنّه يقصد بهذا التفسير معنى الإرشاد بالتوجه إلى الصلاة لأنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما أشار أبو السعود إلى هذا المعنى في تفسيره بأنّه نستعين على قضاء حوائجنا وانتظار الفرج بالتوكّل على الله في الصلاة وفي كل الأمور أو بالصوم الذي هو الصبر[4]. ويقول الصابوني أيضا في هذا المعنى:« يبيّن لهم طريق التغلب على الأهواء والشهوات والتخلص من حب الرياسة واستغلال المال فقال واستعينوا بالصلاة»[5].

ومنه فإنّ الأمر في الآية (واستعينوا بالصبر والصلاة) مجازي خرج عن معناه الحقيقي ليدل على التوجيه والإرشاد وهذا واضح من خلال النص القرآني فالله تعالى يرشدنا ويوجهنا

[1]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 629.

[2]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 477.

[3]– الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مصدر سابق، ج1، ص: 125.

[4]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 98.

[5]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص: 55.

إلى الطريق الصواب بالصبر فهو مفتاح الفرج والصلاة فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وابن عاشور لم يختلف في هذا المعنى مع أقوال المفسرين.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلَـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾(البقرة: 187) وقوله تعالى:(فالآن باشروهن) الأمر« للإباحة وليس معنى قوله (الآن) إشارة إلى تسريع المباشرة حينئذ بل معناه(فالآن) اتضح الحكم فباشروهن»[1].يصرح ابن عاشور هنا أنّ الأمر للإباحة وجاء في تفسير الطبري بأنّه: «أباح لهم المجامعة والأكل والشرب حتى يتبيّن لهم الصبح»[2]ويشير البيضاوي في تفسيره للآية (فلآن باشروهن) أن الأمر يحمل معنى الإباحة بما نسخ عنهم من التحريم[3]، وكذلك هو لحال في تفسير أبي السعود[4]، في حين نجد معنى الأمر عند النعماني في اللباب هو إذن المباشرة[5].

نستنتج أنّ ابن عاشور وافق من سبقه في شرحهم لمعنى الأمر في الآية (فالآن باشروهن) بأنّه مجازي خرج عن معناه الحقيقي ليدل على الإباحة، ونص الآية يبيّن أنّ الله حين فرض علينا الصيام حرم علينا الطعام والشراب والمباشرة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ورفقا بعباده ورحمة بهم أباح لهم ذلك في الليل.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(البقرة: 286) وقوله: وعف عنا وأغفر لنا لم يؤت مع هذه الدعوات بقوله ربنا لأنّ تلك الدعوات السابقة مقترنة بهذه الدعوات الثلاث، فإن استجبت تلك حصلت

---

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 183.

[2]– الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج3، ص: 498.

[3]– ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ص: 180.

[4]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: 201.

[5]– ينظر: النعماني، اللباب في علم الكتاب، تح: علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، ، ج3، ص: 312.

إجابة هذه بالأولى، فالعوامل لعدم المؤاخذة، والمغفرة أصل لرفع المشقة والرحمة أصل لعدم العقوبة الدنيوية والأخروية فلما كان تعميما بعد تخصيص كان كأنّه دعاء واحد[1].

يظهر جلّيا على أنّ الدلالة المترتبة من هذا الأمر في الآية (واعف، واغفر، وارحم) هي الدعاء، واقتصرت على شرح ابن عاشور في نوع هذا الغرض البلاغي للأمر لأنّ ليس هناك خلاف بين الدارسين بأنّ صيغة الأمر إذا كانت من أدنى إلى أعلى فهي تفيد الدعاء على سبيل التضرع ومنه نستنتج أنّ الأمر مجازي خرج عن معناه الحقيقي لأنّ شرط الاستعلاء وكذلك الإلزام مفقود في هذا الطلب.

ثانيا: دلالات النهي

لقد وضّح ابن عاشور في هذا القسم من الإنشاء دلالات وأغراض بلاغية كثيرة ومتنوعة التي يخرج إليها أسلوب النهي في حالة وجود قرينة يرشدنا إليها السياق القرآني وما يحمله من أسرار بلاغية.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة: 229) ومناسبة الاعتراض «ما جرى في الكلام الذي قبلها من منع أخذ العوض عن الطلاق إلاّ في حالة الخوف ألاّ يقيما حدود الله، وكانت حدود الله مثبتة في الكتاب والسنة»[2]، والواضح من هذا الشرح لدلالة النهي في (لا تعتدوها) أنّ ابن عاشور يقصد بتفسيره بأنّ هذا النهي يدل على الوعيد والتهديد بأن لا يتعدوا حدود الله في منع أخذ العوض عن الطلاق، فهذه الحدود مبينة في الكتاب والسنة كما جاء في جامع البيان للطبري حيث يقول:« (فلا تعتدوها): أي لا تتجاوزوا ما أحللته لكم وما حرمته عليكم وما أمرتكم به وما نهيتكم عنه، ولا طاعتي إلى معصيتي ومن خالف ذلك وتجاوزه وعصى أمري فهو ظالم»[3] وصرح صاحب المحور الوجيز في تفسيره بقوله: «(فلا

[1]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج3، ص: 141.

[2]– المصدر نفسه، ج2، ص: 413.

[3]– الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج4، ص: 585.

تعتدوها) توعد الله تعالى على تجاوز الحد ووصف المعتدي بالظالم وهو أن يضع الشيء في غير موضعه»[1] ويوافق البيضاوي على هذا المعنى فيقول: «(فلا تعتدوها) بالمخالفة وهو تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد»[2].

نستنتج أنّ النهي في الآية (فلا تعتدوها) جاء لغرض التهديد والوعيد لمن يخالف أوامر الله ونواهيه لم يصرح ابن عاشور بهذا المعنى للنهي كباقي المفسرين، ولكن يظهر ذلك من خلال تفسيره والسياق يثبت ذلك.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ (البقرة: 282) والسآمة «الملل من تكرير فعل ما والنهي عنها نهي عن أثرها، وهو ترك الكتابة لأنّ السآمة تحصل للنفس من غير اختيار، ولا ينهي عنها ذاتها فهي كناية عن الكسل والتعاون»[3] يظهر جليا في تفسير صاحب التحرير والتنوير أنّ المراد من النهي هو توجيه وارشاد الله تعالى عباده إلى كتابة الذين صغيراً كان أو كبيراً وترك الملل والسآمة وصرح بهذا صاحب الكشاف بقوله: ونهى عن السأم والكسل وهو توجيه وإرشاد للمؤمنين بعدم السأم والكسل في كتابة الدين إلى أجله صغيراً كان أو كبيراً[4]. ويقول ابو السعود في معنى الآية: وهذا من تمام الإرشاد وهو الأمر بكتابة الحق، أي أنّ لا تملوا بكثرة مداينتكم أن تكتبوه قل أو كثر[5]. ويذهب السيد قطب بأنّ معنى النهي في (لا تسأموا) :« فهو إدراك لانفعالات النفس الانسانية حين تحس أنّ تكاليف العمل أضخم من قيمته»[6].

[1]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج1، ص: 308.

[2]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 142.

[3]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 114.

[4]– ينظر: الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 326.

[5]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 271.

[6]– السيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 336.

ومن هذا نرى أنّ دلالة النهي في الآية (لا تسأموا) عند ابن عاشور وباقي المفسرين هو النصح والإرشاد إلى كتابة الدين كبيراً أو صغيراً بما يحفظ أصول المسلمين عامة والمتدانيين خاصة، إلاّ أنّ السيد قطب في هذا النهي (لا تسأموا) ذهب يتحدث عن انفعالات النفس حين تعطي العمل أكبر من حجمه كترك كتابة الدين إذا كان صغير.

يقول ابن عاشور في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسَّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 208) وقوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) تحذير مما «يصدهم عن الدخول في السلم بطريق النهي بخلاف المأمور به»[1] يصرح ابن عاشور بأنّ معنى النهي في الآية (لا تتبعوا) يدل على التحذير وقد أشار الطبري في تفسيره لهذا المعنى بأنّه تحذير لهم من إتباع طريق الشيطان وهو ما خالف حكم الإسلام وشرائعه[2].ونلمح هذا المعنى كذلك في معاني القرآن وإعرابه للزجاج بقوله: «ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه فكفوا من أن تعدوا شرائعه»[3]، في حين يوفقه البيضاوي في هذا المعنى بأنّ الخطاب فيه تحذير للمؤمنين أهل الكتاب فإنّهم بعد إسلامهم عظموا السبت وحرموا الإبل وألبانها بأن يطيعوا الله ولا يخلطوا به غيره[4].

ومنه نرى أنّ النهي في الآية (لا تتبعوا خطوات الشيطان) متضمن معنى التحذير ولا خلاف في ذلك.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ﴾ (البقرة: 41) يقول ابن عاشور «إذ ليس المقصود منه مجرد النهي على أن يكونوا مبادرين بالكفر أو لهم السبق في ذلك، وإنّما المقصود من هذا النهي هو توبيخهم على تأخيرهم في اتباع الدعوة، وهم من أنعم

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ،ص: 000.

[2]– ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج4، ص: 258.

[3]– الزجاج، معاني القرآن واعرابه، مصدر سابق، ج1، ص: 279.

[4]– ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 134.

الله عليهم ما يدفعهم للإسلام»[1]والمعنى نفسه في تفسير الجلالين: «وهو توبيخ لأهل الكتاب لأنّ خلفكم تبع لكم فإثمكم عليكم»[2] ونلمح كذلك هذا المعنى في تفسير متولي الشعراوي بأنّهم ليس أول من كفروا بالرسول، لأنّ قريش قد كفرت به من قبل، ولكن يجب أن تكونوا أول بالمؤمنين وليس أول الكافرين[3].

ومنه نستنتج أنّ الغرض البلاغي من النهي في الآية السابقة (ولا تكونوا) أول كافر به عند ابن عاشور وعلماء التفسير له دلالة التوبيخ. ومن يتبين بأنّ الله تعالى لم يفاجئ أهل الكتاب بمجيئ الرسول لأنّهم يعلموا بذلك من التوراة والإنجيل، فبدل أن يكون لهم السبق في الإيمان به كفروا به فحقهم التوبيخ بما عملوا به.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَناً قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَاتَّقُونِ﴾(البقرة: 41) وليس المراد من النهي هنا التقييد، وإنّما هو وصف ملازم للثمن المأخوذ عوضا عن استبدال الآيات فإنّ كل ثمن في جانب ذلك هو قليل والواضح أنّ ابن عاشور من خلال شرحه يضيف معنى آخر للنهي وهو الاستبدال[4]. ويصرح صاحب الكشاف في هذا المعنى بقوله:« يعني لا تستبدلوا بآياتي ثمنا وإلا فالثمن هو المشتري به، والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها من الفوات لو أصبحوا أتباع رسول الله»[5]. ويقول ابن عطية أيضا بمعنى «لا تشتروا بأوامري ونواهي وآياتي ثمنا قليلا بمعنى الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له»[6]، في حين نجد أنّ أبي حيان يوافق هذا المعنى فيقول: والاشتراء

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 460.

[2]– الجلالين، تفسير الجلالين، دار الحديث القاهرة، ط1، د ت، ج1، ص: 10.

[3]– ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د ط، د ت، ج1، ص: 294.

[4]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 466.

[5]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 132.

[6]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج1، ص: 135.

هنا مجاز ويراد به الاستبدال، ولما كان المعنى على الاستبدال جاز أن تدخل الباء على الآيات بمعنى لا تبدلوا آياتي العظيمة أشياء حقيرة خسيسة[1].

ومن خلال أقوال المفسرين نستنتج أنّ النهي في هذه الآية (لا تشتروا) مجازي له دلالة أخرى وهي الاستبدال أو العوض كما في صريح الآية.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُومِنَّ﴾ (البقرة: 221) ونص هذه الآية التحريم وهو تحريم تزويج المسلم المرأة المشركة وتحريم تزويج المسلمة الرجل المشرك[2]. وجاء معنى النّهي في تفسير الخازن: ولا تنكحوا أيّها المؤمنون المشركات حتى يؤمن أي يصدقن بالله ورسوله وهو الإقرار بالشهادتين والتزام أحكام المسلمين[3]. ويفسر أبو السعود هذا المعنى والمراد بهم الكفار على الإطلاق أي لا تتزوجوا منهم حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر[4]. ويصرح ابن كثير في هذا المعنى بقوله هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان[5].

ومنه فإنّ ابن عاشور وافق علماء التفسير بأنّ المعنى من النهي في هذه الآية (لا تنكحوا) هو التحريم وهذا هو ما توحي به لنا الآية الكريمة بأن كل مشركة من أيّ أجناس الشرك يحرم نكاحها على كل مسلم حتى تشهد بأنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمد عبده ورسوله.

يقول ابن عاشور في تفسيره قوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلاَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾(البقرة: 11) و«القائل لهم لا تفسدوا في الأرض بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الذين لهم اطلاع على شؤونهم لقرابة أو صحبة، فيخلصون لهم

[1]– ينظر: ابن عطية، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 288.

[2]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحريم والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 360.

[3]– ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني الترتيل، مرجع سابق، ج1، ص: 152.

[4]– ينظر: أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ص: .

[5]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 222.

النصيحة والموعظة رجاء أيمانهم»[1] ومن هذا التفسير بمعنى النهي في الآية (لا تفسدوا) أن ابن عاشور يصرح بأنّ هذا النهي أفاد النصيحة والموعظة. وجاء في تفسير البيضاوي معنى النهي هو نهيهم عن إظهار المعاصي والإهانة بالدين لأنّ الإخلال بالشرائع والإعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بالنظام العام[2]. في حين نجد أبو السعود يقول في تفسيره «والمراد بهذا النهي عنه ما يؤدي إلى ذلك من إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم عليهم»[3]. ونلمح من تفسير ابن كثير في هذا المعنى أنّ بالطاعة صلاح الأرض والسماء وبالمعصية فساد في الأرض[4].

نستنتج أنّ الدلالة البلاغية للنهي في الآية السابقة عند ابن عاشور هي النصيحة والموعظة وقد خالف بهذا المعنى المفسرين في شرحهم، ويرى الباحث من خلال هذه التفاسير الواردة في معنى النهي تتمحور حول مسألة أساسية وهي الالتزام بالطاعات وتجنب المعاصي وهذا يكون بالنصح والإرشاد لتوضيح المسلك الصحيح، ومنه نقول أنّ ابن عاشور صرح بدلالة النهي في الآية بينما باقي المفسرين اكتفوا بالتفسير دون التعرض للدلالة البلاغية.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: 224)، وفي الآية تعظيم وتحذير تعظيم اسم الله واتقائه في حرمة أسمائه عند الحث أو لبيان التحذير من تعريض اسمه تعالى للاستخفاف من كثرة الحلف به[5]. وجاء في تفسير الزمخشري بأنّ المعنى: «لا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به؛ لأنّ الحلاف مجترئ على الله غير معظم له»[6].

---

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 284.

[2]– ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 46.

[3]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 43.

[4]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 180.

[5]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 376.

[6]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 268.

ويقول أبو السعود :«لا تجعلوا الله مانعا للأمور الحسنة التي تخافون على تركها وعبر عنها بالإيمان لملابستها»[1] ونجد أيضا في تفسير الشعراوي يعني لا تجعلوا الله حاجزا أو ما نهى عن فعل الخير[2]. وفي أيسر التفاسير يقول جابر الجزائري: نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الحلف مانعا عن فعل الخير أو ترك إثم أو إصلاح بين الناس[3].

ومن هذا نرى أنّ ابن عاشور قد انفرد برأيه وخالف علماء التفسير في نوع الدلالة البلاغية للنهي في الآية السابقة بأنّه تعظيم وتحذير، إلا أنّ كل التفاسير توحي بأنّ الله عظيم ولا يمكن أن نّجعل من جلالته في الحلف عرضة أو مانعا أو حاجزا عن فعل الخير لأنّ الله تعالى أعظم من كل شيء.

يقول ابن عاشور في تفسيره قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152) وقوله (لا تكفرون) نهي عن الكفر أنّ «للنعمة والكفران مراتب أعلاها جحد النعمة وإنكارها ثم قصد إخفائها ثم السكوت عن شكرها»[4]، هنا يشير ابن عاشور بأنّ معنى النهي في هذه الآية (لا تكفرون) هو الإنكار ونلمح هذا المعنى في القرطبي (لا تكفرون) نهي ومعناه شكر النعمة لا التكذيب[5].

وفي تفسير البيضاوي (لمعنى النهي: «جحد النعم وعصيان الأمر»[6]، وكذلك يوافقه الخازن في هذا المعنى بقوله: «الطاعة في شكر الله والمعصية في الجحديه»[7]، ويذهب السيد قطب بأنّ النهي هنا هو التحذير حيث يقول: « والنهي عن الكفر هنا إلماع إلى الغاية

[1]– أبو السعود ، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 223

[2]– ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج2، ص: 973.

[3]– ينظر: جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص: 209.

[4]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 51.

[5]– ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج2، ص: 172.

[6]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسس التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 114.

[7]– الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، مرجع سابق، ج1، ص: 93.

التي ينتهي إليها إلاّ لتقصير في الذكر والشكر وتحذير من النقطة البعيدة التي ينتهي إليها»[1].

ومنه يتضح أنّ معنى النهي في الآية يدل على الإنكار أو الجحد للنعمة وتفق ابن عاشور مع علماء التفسير في ذلك ولكن خالفهم السيد قطب حين قال أنّ المعنى هو لتحذير ومن السياق في الآية يتضح أنّ ذكر النعم من شكر الله تعلى وطاعته وإنكارها والجحود بها في معصيته يقول تعالى في سورة الضحى في هذا المعنى﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثَ ﴾ (الضحى: 11).

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوَ اَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾(البقرة : 286) والمراد من هذا النهي هو الدعاء في قوله (لا تؤاخذنا) وهو ما يترتب عن النسيان والخطأ في فعل أو ترك ما لا يرضي الله، وفي قوله (ولا تحمل علينا اصرا)أي عهدا لا ينفي به ونعذب بتركه ونقضه وفي قوله تعالى (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) طلب المعافاة من التكلّف والمشقّة، فهذه دعوة من المؤمنين دعوه قبل أن يعلموا أنّ الله رفع لهم ذلك[2].إذن جملة النهي هنا تفيد الدعاء وإليه ذهب جل المفسرين ومنهم نذكر الطبري بقوله:« وهذا تعليم من الله عز وجل عباده المؤمنين دعاءه وكيف يدعونه وما يقولون في دعائهم إياه»[3]

ويقول الشعراوي بهذا الدعاء فأنّنا يا رب «نقدرك حق قدرك ولا نجترئ على عصيانك عمدا، وإن عصينا فإنّما يكون العصيان بيانا أو خطأ وهذه معرفة لقدر الله»[4]. وفي صفوة التفاسير يقول الصابوني يعني «قولوا في دعائكم لا تعذبنا يا رب بما لا يصدر عنا من لهو

[1]– السيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج1، ص: 140.

[2]– ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 140.

[3]– الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج2، ص: 132.

[4]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج2، ص: 1247.

أو خطأ ولا تكلّفنا بالتكاليف الشاقّة نعجز عنه ولا تحملّنا ما لا قدرة لنا عليه من التكليف الشاقة»[1].

ومنه فإنّ جملة النهي هنا تحمل دلالة واضحة وجلّية متفق عليها من أدنى إلى أعلى فأفادت الدعاء دون أن نلجأ إلى الإفصاح بها وهذا هو سر التعبير البلاغي في هذا الضرب من الإنشاء.

[1]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص: 163.

المبحث الثالث: دلالات النداء والتمني

أولا: دلالات النداء

لقد أولى ابن عاشور قدرا كبير من الاهتمام إلى هذا النوع من الطلب، كونه يفتتح به الخطاب وشدّ المتلقي بما سيلقيه المخاطب، والمعاني المترتبة عنه، وذلك باستخدام الأداة النداء (يا) الموضوعة للاستدعاء والإقبال بغية احضار الذهن وتهيئة النفس بما يقال لها.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:21) وتهيأ المقام الخطاب عامة الناس بما ينفعهم إرشادا لهم ورحمة بهم لأنّه لا يرضى لهم الضلال وافتتح الخطاب بالنداء تنويها بالإقبال على موعظة نبد الشرك[1].

الواضح أنّ النداء عند ابن عاشور في الآية جاء للموعظة والإرشاد، وفسّره صاحب الكشاف على النحو التالي:« وأقبل الله عليهم بالخطاب وهو من الالتفات وهو فن من الكلام جَزِلْ فيه هزٌ وتحريك إلى السامع»[2] ونجد كذلك المعنى ذاته عند الرازي في تفسيره بقوله: «وأقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزًّا لهم إلى الإصغاء وتوجيها إلى قلوبهم نحو لتلقي وجبرا له في العبادة من الكلفة بلدة الخطاب»[3]، ونفس المعنى في تفسير أبي السعود[4] وأيضا الصابوني[5].

---

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 324.

[2]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 88.

[3]– الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج2، ص: 319.

[4]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 98.

[5]– الصابوني، صفوة التفسير، مرجع سابق، ج1، ص: 42.

ومن هذا نرى أنّ معنى النداء في الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ جاء لتوكيد عبادة الله تعالى ووحدانيته ونبذ الشرك، وفسره ابن عاشور بأنّه للإرشاد والموعظة، وأجمع علماء التفسير أنّ معنى النداء في هذه الآية جاء لهز النفس للإصغاء وتوجه إلى قلوبهم ويرى الباحث في هذا المعنى تهيئة النفس وتنبيهها من السهو والغفلة واستدعاء الذهن للإصغاء ثم إرشادهم باستعمال حرف (يا) الموضوعة في الأصل لنداء البعيد وقد نودي بها القريب للتأكيد.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (البقرة: 33) وابتداء خطاب آدم بندائه مع أنّه غير بعيد عن سماع الأمر الإلاهي للتنويه بشأن أمر وإظهار اسمه في الملأ الأعلى حتى ينال بذلك حسن السمعة مع ما فيه من التكريم»[1] وهنا يشير ابن عاشور إلى أنّ المقام تشريف وتكريم لآدم (عليه السلام)، وأشار بهذا المعنى أبو حيان في البحر المحيط بقوله: «نادى آدم باسمه وهي عادة الله مع أنبيائه»[2]. ويوفقه أبو السعود في تفسيره بأنّ المراد من هذا النداء هو ظهور فضل آدم (عليه السلام) »[3] وكذلك صرح ابن كثير قائلا: « هذا المقام ذكر فيه الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم»[4].

نستنتج من أقوال هؤلاء العلماء في شرحهم لمعنى النداء في الآية (قال يا آدم) مستعمل في معناه المجازي، والمقام تشريف وتكريم من الله عز وجل لسيدنا آدم (عليه السلام)

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 417.
[2]– أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 298.
[3]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 86.
[4]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 222.

وفضل فيه بما اختصه به من علم الأسماء دون غيره من الملائكة وذلت عليه أداة النداء (يا) الموضوعة أصلا للبعيد واستعملت في نداء القريب.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾(البقرة: 35)، ونداء آدم قبل تقبل تحويله سكن الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملاء الأعلى، لأنّ نداءه يستدعي اسماع أهل الملاء الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب به، وهو أنّ العلم جدير بالإكرام بالعيش الهنيء»[1]وفي هذه الآية يشير ابن عشور أنّ المقام تعظيم للأمر الذي من أجله خاطب به الله تعالى سيدنا آدم (عليه السلام) والمتمثل في اكرامه بالعيش الهنيء، ونلمح هذا المعنى في تفسير البحر المحيط لمعنى النداء في الآية بقوله:« وفائدة هذا النداء تنبيه لما يلقي إليه من الأمر وتحريكه لما يخاطب به، إذ هو من الأمور التي ينبغي أن يجعل لها البال وهو الأمر يسكن الجنة»[2].

ويوافق الألوسي سابقيه في تفسيره روح المعاني لمعنى هذا النداء بقوله :« وتصدير الكلام بالنداء لتنبيه الأمور لما يلقي إليه من الأمر وتحريكه لما يخاطب به، إذ هو من الأمور التي ينبغي أن يتوجه إليها»[3].

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 428.

[2]– أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 306.

[3]– الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج1، ص: 234.

ومن خلال هذه التفاسير لشرح معنى النداء في الآية السابقة ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ آنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ نجد أنّ هذا النداء عند ابن عاشور له دلالة التعظيم للأمر الملقى وللمنزلة التي يتمتع بها سيدنا آدم (عليه السلام)، ويكاد يطابق هذا المعنى عند المفسرين في تعظيم الأمر وما يحمله من أهمية، نستنتج أنّ هذا النداء مجازي لتعظيم الأمر المنادى لأجله والمنزلة التي منها الله لسيدنا آدم (عليه السلام) فجاء النداء (يا آدم) بالحرف (يا) التي تستعمل لنداء البعيد لبيان منزلته ومكانته عند الملأ الأعلى.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(البقرة: 47) ويصرح ابن عاشور في هذا المعنى بأنّ النداء أفاد التفكير وذلك بقوله:« فكان لندائهم بعنوان كونهم أبناء يعقوب وأعقابه لأنّ ما خوطبوا به هو من التذكير بنعمة الله على أسلافهم وبعهد الله لهم»[1] وسبقه إلى هذا المعنى ابن عطية في المحور الوجيز بأنّ فائدة هذا النداء هو التذكير بالنعمة[2]، وذكر البيضاوي في أنوار التنزيل بأنّه:« تأكيد وتنكير التفضيل وربطه بالوعيد والتهديد بما فيه من معصية لمن غفل عن هذه النعم وأنكرها»[3]. كما جاء أيضا في البحر المحيط أنّ:« النداء لبني اسرائيل (يا بني اسرائيل) وذلك لإثارة شعورهم بذكر النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم وتفضيلها نعمة نعمة»[4].

ومنه نخلص أنّ معنى النداء في الآية (يا بني) جاء للتذكير بنعم الله عليهم وتفضيلهم بها على العالمين، فحق عليهم أن يذكروا ذلك.

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 449.

[2]– ينظر: ابن عطية، المحور الوجيز، مصدر سابق، ج1، ص: 138.

[3]– البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 78.

[4]– أبو حيان البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 346.

ويفسر ابن عاشور قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ (البقرة: 54) بأنّ نداء موسى لقومه (يا قوم) يدل التحريض على التوبة وترك المعصية بذكر النعم وشكر الخالق[1]. وجاء معنى هذا النداء (يا قوم) في تفسير الكبير أنّ موسى يشعر بالتحنن نحو قومه ليجعلهم يحسون بأنّه منهم وهم منه فيسهل عليه قبولهم لدعوته[2]. وجاء في تفسير النسفي أنّ في هذا النداء تقريع لتركهم عبادة الله عز وجل وهو أحق بالعبودية، وعبادتهم العجل وهو مثل في الغباوة والبلادة[3]. ويشرح ابن كثير معنى النداء في الآية دلالة على عظيم جرمهم في شركهم بالله وعبادة غيره[4].

نستنتج أنّ معنى النداء في الآية (يا قوم) حسب آراء المفسرين خرج إلى عدة أغراض بلاغية، وقد اختلفوا فيما بينهم باختلاف نوع الغرض، فدلالة التحريض أو الحث عند ابن عاشور والتحنن والتقريع والتعظيم عند باقي المفسرين، وإن كان الاختلاف في نوع الغرض البلاغي وليس في مضمون الآية ومعناها، لأنّ السياق يثبت بأنّ هذا النداء هو دعوة من موسى لقومه بالإقبال للتوبة وترك المعصية.

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 502.

[2]– ينظر: الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج1، ص: 365.

[3]– ينظر: النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1415ه/1998م، ج1،ص: 89.

[4]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 261.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى﴿ وَأَوْصىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(البقرة: 132) بأنّ معنى النداء في الآية (يا بني) جاء على صيغة وصية تصدر من الآباء لأبنائهم متضمنة معنى النصح والإرشاد، فهذا سيدنا إبراهيم(عليه السلام) يوصي بنيه ويرشدهم إلى الطريق الصحيح وبعده يعقوب (عليه السلام) بذكر بني إسرائيل بوصية جدهم فينصحهم ويرشدهم[1]. ويفسر الخازن معنى النداء في الآية كونه جاء بلفظ الوصية فهو يؤكد، لأنّ الوصية تكون عند الخوف من الموت، فاحتياط الانسان على نصحه لولده وإرشادهم أشد وأعظم[2]، كما جاء في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي كون أنّ هذا النداء جاء باللفظ الليّن مضافين إليه حب وتلطف غريب لما فيه من هز وتحريك الذهن والنفس لمّا يلقى إليهم من أمر الموافاة على دين الإسلام[3].

نستنتج أنّ معنى النداء في هذه الآية (يا بني) في قالب وصية متضمنة معنى النصح والإرشاد من الأب إلى الأبناء ولا خلاف في ذلك باستعمال الأداة (يا) لنداء القريب وهي موضوعة أصلا لنداء البعيد مع وضع المنادى في موضع التصغير كناية على الحب والرفق بهم.

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 728.

[2]– ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد شهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج1، ص: 83.

[3]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج1، ص: 571.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: 153)، وافتتح الكلام بالنداء لأنّ فيه إشعارا لأمر عظيم، فإنّ شأن الأخبار العظيمة التي تهوّل المخاطب أن يقدّم ما قبلها ما يهيئ النفس لقبولها لنستأنس بها قبل أن تفاجأها[1]، ابن عاشور يشرح دلالة هذا النداء في هذه الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنو) ليدل على التعظيم وتهويل الأمر المنادى لأجله والاستعانة بالصبر والصلاة، كم جاء هذا المعنى في تفسير الكبير فيقول الرازي: أنّ الله عز وجل نادى عباده المؤمنين للاستعانة بالصبر والصلاة لما فيهما من عظمة ومعونة على الثبات وقهر للنفس وتحمل مشاق العبادات وتجنب المحظورات[2]، وكذلك أبو بكر الجزائري في تفسيره يحمل معنى النداء في هذه لآية عظمة هذا الأمر فيقول:« وفي هذا توجيه لهم أنّ الله مع الذين يستعينون بالصبر والصلاة على تكاليف هذا الدور العظيم»[3].

ومن هذا نرى أنّ النداء في الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا) مجازي لأنّ ليس المقصود به الدعوة والاقبال وإنّما المقصود به التوجه نحو هذا الأمر العظيم وخصّه الله بالصبر والصلاة لما فيها من تثبت في العبادات، ودلت عليه الأداة (يا) الموضوعة لنداء البعيد واستخدمت في النداء القريب وقد وافق ابن عاشور من قبله ووافقه من بعده في هذا الغرض البلاغي من النداء.

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص:90.

[2]– ينظر: الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ص: 235.

[3]– جابر الجزائري، نداءات الرحمان لأهل الإيمان، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، 2002، ص: 12.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: 179) يقول ابن عاشور في هذا النداء تنبيه بحرف النداء على أنّ الحكمة في القصص لا يدركه إلاّ ذو العقول الكاملة بالنظر والتفحّص الصحيح لأنّ في بادئ الأمر يظهر لنا أنّ القصص عقوبة وخيانة ولكن بعد التأمل والتفحّص يتبين بأنّ فيه حكمة عظيمة لحياة ثانية[1].

يتضح من شرح ابن عاشور أنّه يشير إلى معنى النداء في هذه الآية (يا أولي الألباب) معنى الحكمة، كما جاء في تفسير الزمخشري بأنّه قد سبق النداء الأولى الألباب وهو أصحاب العقول الراجحة في المحافظة على القصاص وما يترتب عنه من حياة كريمة[2].

ويوافق ابن عطية في هذا المعنى «ولمّا خصّ الله تعالى أولى الألباب بالذكر تنبيها عليهم لأنّهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم»[3] ويفسر ابن كثير معنى النداء في هذه الآية بقوله:(يا أولى الألباب) يا أولى العقول والأفهام والنواهي فإنّ في تشريع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة، وذلك إذا علم القاتل أنّه يقتل كف عن صنيعه[4].

من خلال شرح ابن عاشور وعلماء التفسير لمعنى لنداء في الآية (يا أولي لألباب) باستخدام الأداة (يا) لنداء أصحاب العقول الراجحة مجازي، لما يحمله من حكمة عظيمة في تشريع القصاص لصون حياة النفوس، ومنه فإنّ المراد من هذا النداء هو الحكمة.

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 145.

[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 222.

[3]– ابن عطية، المحرر الوجيز، مصدر سابق، ج1، ص: 247.

[4]– ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 492.

وفي تفسير قوله تعلى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾ (البقرة: 282) يقول ابن عاشور :«والخطاب موجه للمؤمنين أي لمجموعهم، والمقصود منه خصوص المتداينين، والأخص بالخطاب هو المدين لأنّ من حق عليه أن يجعله دائنه مطمئن البال على ماله»[1] نلمح من هذا التفسير أنّ ابن عاشور يشير إلى معنى النداء في هذه الآية بأنّه توجيه وإرشاد إلى المؤمنين عامة والمتداينين خاصة إلى الطريق الصحيح في حفظ أموالهم بالكتابة والاستشهاد عليها، ويصرّح ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم في هذا المعنى قائلا:« إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجّلة أن يكتبوه، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاته، وضبط للشاهد فيها»[2]ويوافقه الصابوني في هذا المعنى فيقول: «وهذا إرشاد منه تعالى لعباده لكتابة المعاملات المؤجّلة، ليكون ذلك أحفظ وأوفق لمقدارها وميقاتها»[3] ويذهب أبو السعود بأنّ هذا النداء من أجل الشروع في بيان حال المداينة[4].

نستنتج أنّ المعنى النداء في الآية السابقة يحمل دلالة النصح والارشاد وهذا واضح من خلال السياق، رغم أنّ ابن عاشور لم يصرّح بهذا الغرض إلا أنّه أشار إلى المعنى ذاته وأما باقي المفسرين يقرون بأنّه للنصح والارشاد، باستثناء أبو السعود الذي يرى أنّ هذا النداء هو بداية لبيان حال المداينة.

[1]– طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج3، ص: 98.

[2]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج1، ص: 722.

[3]– الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص: 161.

[4]– ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 269.

ثانيا: دلالات التمني

إذا كانت أدوات الاستفهام والنداء وصيغة افعل في الأمر وصيغة لا تفعل في النهي تخرج عن معناه الحقيقي لتدل عن معنى مجازي، فإنّ الأداة الأساسية "ليت" الموضوعة للتمني لا تفيد معاني أخرى غير التمني، ولكن يمكن ن تستعمل للتمني أدوات أخرى وفي سياقات متعددة وهي: لو، هل، لعل.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعلى:﴿يَوَد أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (البقرة:96) و(لو) للتمني إشارة إلى عدم تمنيهم الموت كراهة، بل تجاوزوا ذلك إلى كونهم حرص من سائر البشر على الحياة وتمنيهم أن يعمروا أقصى أمد التعمير[1]. ويقول الزجاج في معنى التمني بأنّ الكفار لو تمنوا الموت لماتوا وهم يعلمون أنّ مصيرهم النّار لا محالة، لأنّ النبي على حق وبذلك أمسكوا عن تمني الموت، لأنّ التمني من واحد منهم يثبت قولهم[2]. وجاء في تفسير اللباب للنعماني بقوله: "ولو" في معنى التمني فلا تحتاج إلى جواب لأنّها في قوة: يا ليتني أعمر[3].

وكذلك معنى التمني عند السعدي إذ يقول: تمنوا حالة هي من المحالات والحال أنّهم لو عمروا العمر المذكور لم يفن عنهم شيئا ولا يدفع عنهم من العذاب شيء[4].

وأيضا نلمح معنى التمني في الآية عند الشعراوي في تفسيره: ﴿لو يعمّر ألف سنة﴾ يتمنى بأن تطول حياته بأيّ ثمن وبأيّ شكل، لأنّه يعتقد أنّ بعد ذلك لا شيء ولا يعرف أنّ بعد ذلك العذاب[5].

ومنه نستنتج أنّ معنى التمني في الآية السابقة عند ابن عاشور وباقي المفسرين واحد ودلت عليه الأداة (لو) وهي حرف امتناع لا متناع أي امتناع الجواب لامتناع الشرط وهذا

---

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 618.

[2]– ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مصدر سابق، ج1، ص: 178.

[3]– ينظر: النعماني: اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، ج2، ص: 304.

[4]– ينظر: السعدي، تفسير السعدي، مرجع سابق، ج1، ص: 59.

[5]– ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج1، ص: 477.

ما نجده في التمني كونه طلب الأمر المستحيل غير مطموع في توقعه أي امتناع الوقوع من امتناع الاستحالة، فلو تلتقي مع ليت في معنى التقدير ولذا حلت محلها في المحال الذي لا أمل فيه.

ويقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَو اَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٌۖ﴾(البقرة: 103)، إن "لو" هنا مستعملة للتمني وهي في الأصل "لو" الشرطية أشربت معنى التمني لأنّ المتمتع يتمنى إن كان محبوبا وأحب الشيء إلى الإنسان ما منعا[1].

ويشير الرازي بإفادتها معنى التمني في صريح الآية فيقول:« "ولو أنهم" تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم كأنّه قيل: وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير»[2]ويفسر أبو السعود هذا المعنى بقوله: «"لو" للتمني ومعناه أنّه من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم والقاءهم تلهفا عليهم»[3]، ويصرّح الألوسي بالمعنى نفسه أنّ هذ التمني من جهة العباد فحين مارسوا السحر والضرر والإيذاء حرموا من خير الدنيا والأخرة فكان لهم ذلك التحسر والتمني[4].

نستنتج من أقوال المفسرين أجمعوا أنّ معنى "لو" في الآية (ولو أنّهم آمنّوا) أفادت التمني بمعنى ليتهم آمنّوا لنالوا مثوبة من عند الله لكنه لم يحصل ذلك لأنّ مثوبة الله متوقفة على إيمانهم فلو منعت جواب الشرط (المثوبة) لامتناع شرط الإيمان، فأصبح الأمر مستحيل غير متوقع وقوعه وهذا هو المعنى المراد من التمني.

[1]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج4، ص: 649.

[2]– الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج3، ص: 634.

[3]– أبو السعود، تفسير أبي السعود، مصدر سابق، ج1، ص: 141.

[4]– ينظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج1، ص: 347.

يقول ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنَ اَهْلِ اِلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً ﴾(البقرة: 109) لأنّ في مودة ذلك التمني للمسلمين الكفر وبلغ بهم الحسد والضبط بأن لو يردونكم وفيه إشارة إلى أنّهم يودون رجوع المسلمين إلى الشرك، ولا يبقوا على هذه الحالة الحسنة[1]، وفي تفسير الراغب الأصفهاني في معنى التمني في هذه الآية:« تنبيه أنّ كثيرا من أهل الكتاب يتمنّون ارتدادكم بعد إيمانكم حسدا»[2]. وفي هذا المعنى جاء في صفوة التفاسير بمعنى« تمنى كثير من أهل اليهود والنصارى لو يعتبرونكم كفارا بعد أن آمّنتم»[3]. ويقول جابر الجزائري في معنى الآية تمني أهل الكتاب واليهود للمسلمين زوال النعمة التي هم عليها لأنّ اليهود والنصارى يعلمون أنّ الإسلام حق وأنّ المسلمين على حق فحمّلهم ذلك على حسدهم ثم عداوتهم[4].

ومن خلال هذه التفاسير لمعنى التمني في الآية السابقة نستنتج أن المفسرين أجمعوا بأن استعمال "لو" في هذه الآية للدلالة على التمني لأنّه جاء بعد "ودَّ" الذي يدل على المحبة والمحبة هنا ممتنعة لأنّها جاءت بعدها "لو" وهي حرف امتناع فمنعت الأمر المحبوب وأفادت بذلك معنى التمني.

[1]- ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج1، ص: 669-670.

[2]- الأصفهاني، تفسير الأصفهاني، تح: محمد سيوفي، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1420ه/1999م، ج1، ص: 291.

[3]- الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص: 76.

[4]- ينظر: جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص: 98-99.

يقول ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(البقرة: 167) و"لو" في قوله (لو أنّ لنا كرة) مستعملة في التمني وهو استعمال كثير لحرف "لو" وأصلها الشرطية حذف شرطها وجوابها واستعيرت للتمني بعلاقة اللزوم لأنّ الشيء العسير المنال يكثر تمنيه[1].

ويقول الزمخشري موضحا افادتها معنى التمني:« "لو" في معنى التمني ولذلك أجيب بلفاء الذي يجاب للتمني كأنّه قيل: ليت لنا كرة فتبرأ منهم»[2]وكذلك نجد هذا المعنى ذاته في تفسير البيضاوي وأيضا النسفي في تفسيره ويصرّح أبو السعود في معنى "فلو أنّ لنا كرة" أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا[3]. ويفسر السعدي هذا المعنى بقوله: «وحينئذ يتمنى التابعون أن يردّوا إلى الدنيا فيتبرؤوا من متبوعيهم، بأن يتركوا الشرك بالله ويقبلوا على إخلاص العمل لله»[4].

يتّضح من خلال شرح بن عاشور وغيره من المفسرين في معنى الآية "لو أنّ لنا كرة" أنّ التمني بـ"لو" هنا برز كونهم يتمنون المستحيل بأن يكون ممكنا ويرجعوا إلى الدّار الدنيا مرة أخرى، لأنّه يتملكهم شعور بالحسرة والنّدم بما فعلوا بهم أتباعهم، فيحضوا بفرصة أخرى في الدنيا للتخلص منهم وهذا بالأمر المحال فهيهات حيث لا ينفع الندم، فنستنتج أنّ "لو" في هذه الآية أفادت تمني المستحيل غير الممكن بمعنى ليت.

---

[1]– ينظر: طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج2، ص: 98.

[2]– الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج1، ص: 212.

[3]– ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مصدر سابق، ج1، ص: 118، وينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج1، ص: 149.

[4]– السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن لو يحي، مؤسسة الرسالة، ط4، 1420هـ/2000م، ص: 79.

خاتمة

خَاتِمَة:

وبعد هذه الدراسة لدلالة الإنشاء الطلبي في سورة البقرة من خلال تفسير التحرير والتنوير، أن أشير إلى أبرز النتائج المتحصل عليها والتي تشكل خاتمة للبحث:

1.تتضمن سورة البقرة على العديد من الشواهد لدلالات الإنشاء الطلبي ومنها التسوية والدعاء والتعجيز وغيرها.

2.تتجلى أهمية جملة الطلب في سورة البقرة في أمور كثيرة وفسّرها ابن عاشور كالآتي:

أ. الاستفهام أهم ملمح أسلوبي بارز في سورة البقرة، تتنوع دلالاته بتنوع دواته وخاصة الهمزة من أكثر الأدوات استعمالا فهي أم الباب، ومن معانيه الأكثر ورودا نجد: الإنكار ثم التعجب، والتوبيخ ثم التقرير والاستبعاد، وأقلها التسوية والنفي.

ب.النداء في سورة البقرة غير حقيقي أفاد دلالات ومعاني بلاغية تفهم من سياق أداة النداء في غير موضعها ومنها: الموعظة والإرشاد والتشريف والتكريم، والأمور العظيمة والحث والتحريض.

ج.غلبت على جملة الأمر دلالة التعجيز والتهديد والوعيد والاعتبار والتخيير والدعاء وارتبطت جملة النهي بدلالة النصح والارشاد والتحذير والتوبيخ والتحريم والاستبدال.

د. وأما أسلوب التمني فجاء بنسبة قليلة جدا مقارنة بباقي الأساليب الأخرى، وذلك بالأداة "لو" التي أفادت معنى التمني.

3.قد لا يصرح ابن عاشور أحيانا إلى نوع الدلالة التي يخرج إليها أسالوب الطلب ولكنه يشير إليها من خلال تفسيره للآية.

4.قد يختلف ابن عاشور أحيانا مع المفسرين في بيان نوع الغرض البلاغي ونجد منها: الإنكار والتحرير في لاستفهام، والإباحة والامتنان في الأمر، والجحد والتحذير في النهي، والحث والتعظيم في النداء، أما معنى التمني فهو متفق عليه، وهذه كلّها تتفق فيما بينها في السياق العام.

5.يتضح لي أن منهج ابن عاشور وطريقته في تفسيره للسور والآيات يعتمد على التحليل البلاغي.

<u>توصيات:</u>

- تشجيع الباحثين على دراسة القرآن الكريم لأنه غني بالأساليب البلاغية الجديرة بالدراسة.
- ضرورة الربط بين علم المعاني وعلم التفسير.
- الاهتمام بدراسة كتاب التحرير والتنوير وخاصة فيما يتعلق بعلوم البلاغة، والاستفادة منه في توضيح علومها الثلاث: المعاني والبيان والبديع.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا البحث والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

الكتب:

1.أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف.

2.أبو البقاء العكبري، شرح ديوان المتنبي، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت.

3.أبو السعود، تفسير أبي السعود-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، د ط، د ت.

4. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صرفي جميل، دار الفكر، بيروت، د ط، 1420هـ.

5.أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: يوسف الصهليلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط.

6.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط 1، 1998م.

7.أحمد مطلوب، الأساليب الانشائية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.

8.الأزهري، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون، مرا: محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

9.اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1399هـ/1979م.

10. الأصفهاني، تفسير الأصفهاني، تح: محمد سيوفي، كلية الآداب، جامعة طنطا، ج1، ط1، 1420هـ/1999م.

11. الألوسي، روح المعاني، تح: على عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1415هـ.

12. امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ/2004م.

13. الأوسي قيس اسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة، بغداد، 1988م.

14. بسيوني، فيود، علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط4، القاهرة، 2015م.

15. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب الاسلامي، القاهرة، د ط، د ت، ج1.
16. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد صبحي ومحمود الأطرش، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، م 1، ط1، 1421هـ/2000م.
17. التهانوي، كشاف المصطلحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م.
18. جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط5، 1424هـ/2003م. ونداءات الرحمان لأهل الإيمان، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، 2002.
19. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، 2011م.
20. الجلالين، تفسير الجلالين، دار الحديث القاهرة، ط1، د ت، ج1.
21. الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/1987م.
22. حسن جمعة، جماليات الخبر والانشاء، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005م.
23. حسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ/2002م.
24. حمدو طمّاس، ديوان الحطيئة، دار الحطيئة، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2005م.
25. الخازن، الباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج1.
26. الخطيب القزويني، الايضاح، تح: مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1997م.
27. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي الخزومي وابراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424،01هـ-2003م.
28. الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج2.

29. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.
30. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1972، ج2.
31. الزركلي، الأعلام، ج 6، دار الملايين، ط1، 2002م.
32. الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 1405هـ-1985م.
33. السبكي، عروس الأفراح، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية.
34. سبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج3، ط1، 1992.
35. السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن لو يحي، مؤسسة الرسالة، ط4، 1420هـ/2000م.
36. سعيد حوَّى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ج1، ط2، 1424هـ.
37. السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، 2000م،
38. السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، م1، ط2، 2003م.
39. السيوطي، همع الهوامع، تح: عبد العالي سالم وعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، ج 1.
40. الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، دت.
41. الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د ط، د ت، ج1.
42. الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، م1، د ط، 1999م.
43. طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، م1، د ط، 1984م.
44. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.

45. عبد الرحمان حبنكة الميداني، البلاغة العربية علومها وفنونها وأسسها، ط1، دار القلم، دمشق، 1996.
46. عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 2001م.
47. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي، ج 2، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط 2، 1405هـ/1986م.
48. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، ط 1، لبنان، 2009م.
49. عبد العزيز عرفه، من بلاغة النظم العربي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ-1984م.
50. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، دار ألميرقم، إيران، د ط، 1404هـ.
51. عبد الله الكردي، كفاية المعاني في حروف المعاني، تح: شفيع برهاني، دار اقرأ، سورية، ط 1، 1426هـ/2005م.
52. ابن عطية، المحور الوجيز، تح: عبد السلام الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ط1، 1413هـ/1993م.
53. ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار إحياء التراث، القاهرة، ط2، ج2، 1980م.
54. العلوي، الطراز، تح: بن عيسى طاهر، دار المنار الاسلامي، ط 1، 2007.
55. على الجارم ومصطفى أمين، البلاغة العربية الواضحة، المكتبة العلمية، بيروت.
56. عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، تح: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1414هـ، 1994م.
57. الغالي بلقاسم، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، دار الفكر، دمشق، 1997م.
58. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 4، 1399هـ/1979م. والصاحبي في فقه اللغة، تح: حمد ربيع، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1414هـ/1993م.

59. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 4، 1997م.

60. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط08، 1426هـ.

61. القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح: مروان عطية وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط4، 1415هـ، 1995م.

62. ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، 1985م.

63. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1، ط2، 1384هـ/1964م.

64. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 180.

65. ابن مالك، ألفية ابن مالك، المكتبة الشعبية، بيروت، 2011م.

66. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر.

67. محمد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، دار العزة والكرامة، ط1، الجزائر، 2013.

68. محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار الميداني، جدة.

69. محمد على إيازي، المفسرون-حياتهم ومناهجهم-، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، طهران، ط1، 1312هـ.

70. محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1404هـ، 1984م.

71. محمد محي الدين، التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، 2007/1968.

72. محمد نخلة، علم المعاني، دار العلوم العربية، بيروت، 1990.

73. مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000م.

74. منيع عبد الحليم، منهاج المفسرين، د ط، دار الكتاب المعري، القاهرة، 2000م.

75. النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1415هـ/1998م.

76. النعماني، اللباب في علوم لكتاب، تح: علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

77. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، الأردن، ط1، 2007م.

78. ابن هشام، المغني اللبيب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ط1، 1988م.وابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين، دار رحاب، الجزائر.

79. الواحدي، أسباب نزول القرآن، تح: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.

80. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

81. ابن يعيش، شرح المفصل، مراجعة الأزهو المعمور، دط، إدارة الطباعة الفسيرة، دت.

الرسائل والمجلات:

1.محمد نعمان الحسن، (الاتجاه اللغوي في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور)، مجلة القسم العربي، العدد 21، بنجاب لاهور باكستان، 2014م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مُقَدِّمَة .....أ- هـ
مدخل 12
أولا: التعريف بالمؤلف 12
ثانيا: التعريف بالمؤلف "التحرير والتنوير".....13
الفصل الأول: الإنشاء الطلبي أقسامه ودلالاته.....17
المبحث الأول: أقسام الكلام (خبر وإنشاء).....17
أولا: الخبر 18
ثانيا: الإنشاء: 19
ثالثا: أقسام الجملة الإنشائية.....20
المبحث الثاني: الإنشاء الطلبي وأقسامه 22
أولا: مفهوم الإنشاء الطلبي:.....22
ثانيا: أقسام الإنشاء الطلبي.....23
المبحث الثالث: دلالات الإنشاء الطلبي.....36
أولا: مفهوم الدلالة: 36
ثانيا: دلالات الإنشاء الطلبي.....37
الفصل الثاني: الإنشاء الطلبي ودلالته عند الطاهر بن عاشور في سورة البقرة.....47
تمهيد:.....48
التعريف بالسورة.....48
المبحث الأول: دلالات الاستفهام.....50
المبحث الثاني: دلالات الأمر والنهي 66
أولا: دلالات الأمر:.....66

ثانيا: دلالة النهي في تفسير ابن عاشور 74
المبحث الثالث: دلالة النداء والتمني 83
أولا: دلالات النداء 83
ثانيا: دلالات التمني 92
خاتمة: 97
قائمة المصادر والمراجع 100
فهرس الموضوعات: 107